علم مقارنة الأديان

أصوله ومناهجه

ومساهمة علماء المسلمين والغرب في تأصيله



د. حسن الباش

علم مقارنة الأديان

أصوله ومناهجه
ومساهمة علماء المسلمين والغرب في تأصيله

د. حسن الباش



دار قتيبة

الطبعة الأولى
1432 هـ - 2011 م

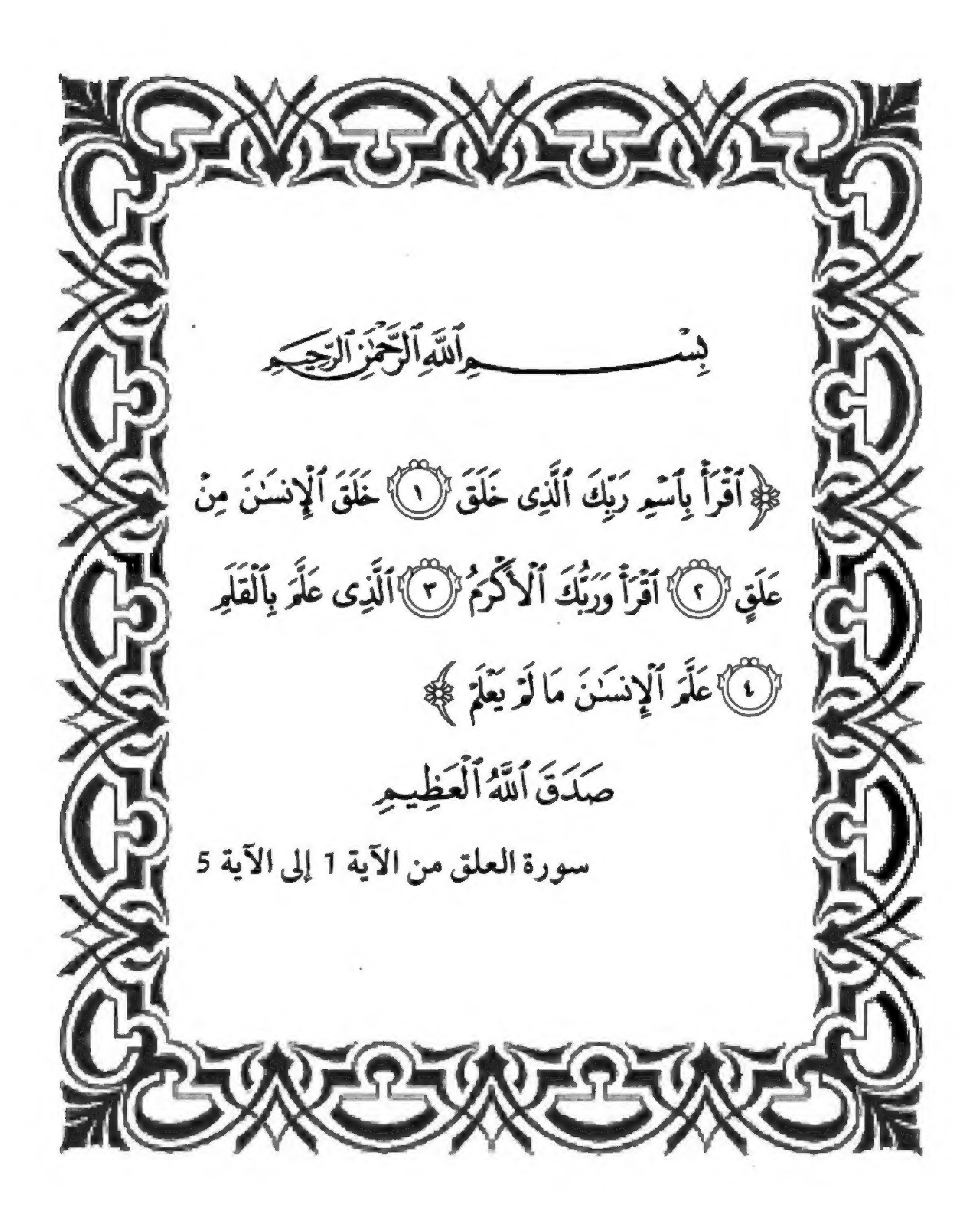
ISBN: 978 - 9933 - 408 - 22 - 0



للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - سوريا - ص.ب: 13414
هاتف: 30 24 224 11 963+
فاكس: 36 10 225 11 963+

www.kotaiba.com
E-mail : dar@kotaiba.com
كتبنا متوفرة على موقع: www.neelwafurat.com



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾

صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمِ

سورة العلق من الآية 1 إلى الآية 5

الإهداء

إلى علمائنا الذين أسسوا علم مقارنة الأديان

ابن حزم الأندلسي

وابن القيم الجوزية

والسموأل بن يحيى المغربي

ورحمة الله الهندي

مقدمة وتمهيد

علم مقارنة الأديان من العلوم التي تحتاجها الإنسانية في هذا العصر مثلما كان حاجة في عصور خلت.

فاليوم تتضح معالم التجمعات البشرية وثقافتها وعقائدها، وتنكشف أمام الجميع من خلال الاتصال البشري المباشر وغير المباشر، ومن خلال الاحتكاك الإنساني الذي يجري بسبب الهجرة والدراسة والتنقل السريع وكذلك الاستيطان والتبادل السياسي والثقافي والعلمي.

فحتى لا تبقى الحواجز الجغرافية وكذلك النفسية والعقائدية والعرقية عائقاً أمام فهم الشعوب لبعضها بعضاً، كان لابد من إيجاد آليات ومناخات عديدة للتقريب بين هذه الشعوب، والتعرف على أفكارها وعقائدها.

وحتى وقت قريب ظل أبناء الشعوب يجهلون حقائق أفكار بعضهم ومعتقدات بعضهم. بل إن الكثيرين لا يعترفون بعقائد غيرهم. ويظنون أن عقائدهم هي الأصح، وهي التي ترضى عنها الأعراف وترضى عنها السماء.

فإذا كانت الثقافة المتبادلة حاجة إنسانية، فإن العقائد تفرض نفسها كي تكون إحدى سمات تلك الثقافة الكونية التي يجب أن يتسم بها العقل البشري. ولعل الجهل بهذه السمة يشكل أحد المعوقات أمام جو من التفاهم الإنساني. ولعل ذلك

أيضاً ما جعل كثيراً من سوء التفاهم يسيطر على العقول والنفوس حتى تحدث الحروب والنزاعات ومن ثم ارتهان البشر للإبادة والقتل والتشريد.

وإذا نظرنا اليوم إلى تعميم مصطلح الإرهاب على العالم الغربي نرى أن صانعي هذا الإرهاب يلصقونه بالإسلام، وحسب ظنهم أن هذا الدين يحث على الإرهاب والقتل والتخريب. وبسبب فهم خاطئ لنصوص القرآن الكريم وسنة النبي محمد ﷺ دمجوا بين الإرهاب والإسلام. والواقع أنهم لو فهموا هذا الدين فهماً صحيحاً لوجدوه دين سلام ومحبة، ويتقدم كثيراً على كل العقائد التي سيطرت على نفوسهم وحياتهم.

ففهم العقائد والدين فهماً صحيحاً وعميقاً يقرب الإنسان من جوهر الدين الواحد وليس من شكله المتعدد المصطنع والمحرف.

إن الإنسانية اليوم لا تعيش من دون أديان وعقائد، حتى الشعوب التي لا تؤمن بالأديان وتنفي الألوهية تحتاج اليوم لآلاف المفاهيم والسلوكيات الأخلاقية التي جاءت بها العقائد وجاء بها الدين واضحة شفافة.

وإذا أردنا توسيع الدائرة عمقاً وطولاً، نرى أن علم مقارنة الأديان يلقي الأضواء على عقائد الشعوب القديمة. ويدفعنا لإدراك كيفية نظرتها للألوهية والنبوات والعالم الآخر، ثم نعرف كيف كانت الأساطير تدخل عالم عقائدهم. وكيف كان السحر أحد المكونات في تلك العقائد.

ثم إن هذا العلم يعرفنا كيف جرت مسيرة التحول والتطور الدينيين لدى الشعوب، فهل بدأت موحدة أم بدأت وثنية. ثم تعرفنا كيف انتشرت الوثنية على تلك المساحات الشاسعة من تراب هذه الأرض، كيف انتقل التفكير الديني من المجرد إلى المجسم والمجسد ثم كيف عاد إلى التجريد المتقدم المرتبط بالعقائد السماوية الكبرى.

ومن خلال هذا العلم ندرك عملية التأثر والتأثير في العقائد الوضعية والوثنية الكبرى كما عند الهندوسية والبوذية، وندرك أيضاً أحادية المصدر في بعض الأديان.

وفي هذا العلم يمكن أن نرى كيف استفادت العقيدة التوراتية من العقائد الوثنية المنتشرة في ذلك المحيط الجغرافي العربي القديم، كما أشارت إلى ذلك التوراة نفسها. كيف يمكن أن نفسر وجود وصايا عشر لدى البوذية هي نفسها لدى الموسوية؟

ثم كيف نفسر التقاطع الحاصل بين القرآن الكريم والتوراة في بعض الأحداث المرتبطة ببعض الأنبياء، وهل نسلّم ببعض النظريات المفسرة للأديان المقارنة أو التي يمكن أن توضع تحت أضواء مقارنة الأديان كعلم، وهل ما ينطبق على العقائد الوضعية ينطبق على العقائد السماوية؟

إن علم مقارنة الأديان يجيب على ألف سؤال وسؤال إذا ما وُضع له منهج علمي عقلي بعيد عن الهوى والتعصب والانحياز الذي وقع فيه بعض علماء مقارنة الأديان.

التداخل بين علم مقارنة الأديان وبعض العلوم

عندما نضع بين يدينا دراسة معمقة لبعض الأديان نرى أنفسنا نُساق إلى دراسة التاريخ كعلم مستقل، فبروز بعض الظواهر الدينية تحتاج إلى معرفة تاريخها كواقعة تاريخية، وإن لم يستطع المرء معرفة التاريخ الدقيق لظهور هذه الظواهر فإن علم التاريخ نفسه يشير لنا إلى القرائن المساعدة، كالقرائن المادية والفكرية وحتى القرائن الدينية المساعدة على تحديد فترات تقريبية لبروز تلك الظواهر. فعلم مقارنة الأديان لا يحصر نفسه بعيداً عن التاريخ، بل إن التاريخ يتداخل معه بشكل كبير. وعلى الرغم من ذلك فإن بعض الباحثين الذين أرادوا أن يتبعوا منهج علم مقارنة الأديان وقعوا في مطب دون أن يشعروا. وهذا المطب هو خروجهم عن هذا العلم إلى علم تاريخ الأديان. حيث راحوا يركزون على تاريخ ظهور العقائد وتطوراتها حسب التسلسل الزمني دون الالتفات إلى مقارنة مواضيع هذه العقائد بغيرها حتى تحصل المقارنة الداخلة في دائرة علم مقارنة الأديان. ومن خلال ممارستنا لتدريس مادة مقارنة الأديان نصطدم دوماً بالمناهج المقررة وهي مناهج تدخل تاريخ الأديان وليس مقارنة الأديان.

إن دراسة تاريخ أي عقيدة أو دين بمعزل عن مقارنتها بغيرها من حيث تشريعاتها أو عقائدها ينفي عنها علاقتها بمقارنة الأديان وتظل في دائرة علم آخر تماماً هو علم تاريخ الأديان.

ولا شك أن علم مقارنة الأديان يحتاج إلى الجغرافية كاحتياجه للتاريخ، وهناك ما يسمى الجغرافية الدينية. حيث تدرس توزع الأديان والعقائد في جغرافية محددة لها بيئتها الجغرافية ولها امتداداتها وتأثيراتها. فبروز عقيدة ما في بيئة ساحلية هي غيرها في بيئة صحراوية أو جبلية، فعند مقارنة الأديان ببعضها لابد أن تراعي المكان الجغرافي والمناخ والبيئة. وبهذا لا نستطيع أن ندرس أي عقيدة ونقارنها بغيرها دون دراسة الطبيعة الجغرافية والمناخية التي انتشرت فيها.

إن هناك عقائد ظهرت في بيئة جغرافية محددة ولم تنتشر أو تتوسع جغرافياً وهناك عقائد انتشرت من بيئتها إلى بيئات أخرى بسرعة مذهلة. بينما هناك عقائد انتشرت من بيئتها إلى بيئة أخرى بشكل بطيء، وهذا البحث لابد أن يكون ذا تأثير واضح في علم مقارنة الأديان من حيث الانتشار وعدمه وأسبابه ونتائجه وما إلى ذلك.

ولعل علم الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) الذي يدرس العادات والتقاليد والنتاج الأدبي الشفوي يتداخل مع علم مقارنة الأديان بشكل كبير. فإذا كان هذا العلم يحاول أن يكشف ويصنف ويحدد الصفات البشرية وتفاعلها مع البيئة ليكشف أوجه الشبه والاختلاف بين مختلف الحضارات فإن علم مقارنة الأديان يستفيد من المعطيات الدينية لذلك العلم. فالأنثروبولوجيا صب اهتمامه في كثير من الفترات على دراسة وفهم المجتمعات البدائية وهذا بطبعه يشمل الأسطورة والدين والمعتقدات والسحر، وعلم مقارنة الأديان يأخذ ما يخص من هذه المعتقدات والأديان لكي يجري بحثه.

والواقع أن العديد من علماء الأنثروبولوجيا اقتربوا من علم مقارنة الأديان وتناولوا بعض مكوناته وأجزائه دون قصد ولعل أهم هؤلاء العلماء إدوارد تايلور

الذي ظهر له كتاب (أبحاث في التاريخ المبكر للجنس البشري) عام 1865 ومن هؤلاء أيضاً مورغان، ومايّن وباخ أوفن[1].

ومن جانب آخر فإن الميثولوجيا وما فيها من بناء أسطوري ديني وغير ديني تدفع الباحث من علماء مقارنة الأديان إلى التعرف الجاد على الأساطير الدينية ورموزها. فليست الأساطير اليونانية أو الكنعانية أو البابلية والفرعونية بمعزل عن علاقتها الوطيدة بالدين ورموزه. وتلك على تنوعاتها تفيد إلى حد بعيد في معرفة المؤثرات الداخلية والخارجية التي ساهمت في توجهاتها وعناصر تركيبها.

وهذا العلم علم مقارنة الأديان عندما يتعرض بالدراسات المقارنة بين العقائد الدينية اليونانية وغيرها من العقائد (على سبيل المثال) لابد أن يصل إلى نتائج مفيدة إذا نظر بعين المؤرخ المقارن إلى عالم الميثولوجيا والأساطير بشكل عام. فلننظر مثلاً إلى صراع الآلهة اليونانية بين بعضها بعضاً، وما رمزية ذلك، وما الذي نصل إليه لو قارنا ذلك بصراع الآلهة في الأساطير البابلية أو الفرعونية وغيرها.

ولا يمكن أن نغفل عن استفادة علم مقارنة الأديان من علم الآثار (الأركيولوجيا) ففي سبيل تعميق فهم العقائد القديمة كان لابد من الاستفادة مما توصل إليه علماء الآثار. خاصة عند ترجمتهم للرقم والكتابات التي اكتشفوها منقوشة في الحضارات القديمة، والواقع أن معطيات علم الآثار فتح الباب واسعاً أمام الجهود العلمية المتخصصة بتاريخ الأديان وبعلم مقارنة الأديان.

فلولا علم الآثار لما أمكن التعرف على طبيعة العقائد وفهم عقلية الشعوب للذات الإلهية وللموت وما بعد الموت. وللوجود ولما وراء الوجود الخ.. هل من حاجة إنسانية لعلم مقارنة الأديان؟

ما أثر هذا العلم في الثقافة الإنسانية المعاصرة؟

وهل من أثر لهذا العلم في إيجاد تفاهم ديني بين أبناء الإنسانية؟

---

(1) محمد صفوح الأخرس، الأنثروبولوجيا.. وزارة الثقافة السورية 2001 ص 32.

قد نستطيع الإجابة الموجزة على هذه الأسئلة. ونقول نعم إن للإنسانية حاجةً إلى هذا العلم. ونعم إن لهذا العلم أثراً في الثقافة الإنسانية المعاصرة. ونعم لهذا العلم أثر في إيجاد تفاهم ديني بين أبناء البشرية.

ولكن ما حقيقة تلك الحاجة، وما هي تلك الآثار، وكيف يكون لهذا العلم أثر في إيجاد تفاهم ديني بين الشعوب؟

اليوم وبعد أن أصبح من السهل تعامل البشر مع بعضهم بعضاً من خلال العلاقات السياسية والثقافية والاقتصادية، يدرك أبناء البشرية أن هناك عشرات الأسئلة ما تزال تلح على عقول الجميع وهي تريد أجوبة صريحة وصادقة، إن الكثيرين اليوم يسألون: هل الإله الذي يُعبد في المسيحية هو نفسه الله الذي يعبد في الإسلام أو اليهودية؟

وقس على ذلك في مجمل القضايا العقائدية والتشريعية من عبادات ومعاملات، فمن المفترض أن تتضح معالم الأجوبة الصحيحة وتفهم من قبل الجميع حتى تتشكل لديهم معرفة دينية واعية. على ضوئها تنفتح آفاق الحوار بين الأديان وعلى ضوئها يتحدد مفهوم التوحيد والوثنية. وعلى ضوئها يتحدد موقف الإنسان من هذا كله، فإما أن يرفض الأديان جملة وتفصيلاً، وإما أن يقبل على التوحيد كما هو في الفطرة الإنسانية.

إن حاجة الإنسانية لعلم مقارنة الأديان تنبع من كون هذا الإنسان بحاجة لمزيد من المعرفة المعمقة لجميع عقائد الشعوب، حتى يدرك كيف يتعامل ويتفاعل ويحاور ويعرف أن يصب الصحيح من العقائد وأين ينبذ الباطل الذي يرفض العقل وترفض الفطرة الإنسانية.

أما أثره في الثقافة الإنسانية فإننا نرى أنه في أبسط الحالات يزيد هذه الثقافة كماً ونوعاً. فهو يعرّف الإنسان بكل ما يحيط بالأديان والعقائد من مفاهيم كمفهوم الألوهية، ومفهوم النبوة. ومفهوم الكتب المقدسة ومفهوم الموت واليوم الآخر. مفهوم الملاك والشيطان ومفاهيم الأساطير والآلهة الوثنية والتجسيد والتجسيم وكذلك أسباب الحروب الدينية التي جرت عبر التاريخ.

وإضافة إلى ذلك فإنه يعرف، الإنسان بتاريخ تدوين الكتب المتعلقة بالعقائد والأديان وما طرأ عليها من تعديل أو اختصار أو توسع.

ومع ذلك كله يضيف للثقافة الإنسانية علماً جديداً ما يزال يحتاج لمزيد من التقنين والمنهج العلمي حتى يصبح كبقية العلوم الإنسانية مثل التاريخ والفلسفة والاجتماع وعلم الإنسان أو الشعوب، وهو يمثل دعوة لكل الدارسين والباحثين المهتمين بمقارنة الأديان كي يؤصلوا هذا العلم وينشروه بشكل منهجي بين ثقافات الشعوب.

القســم الأول
في الإطار النظري

الفصل الأول

علم مقارنة الأديان
جذوره وملامح تكوينه

الفصل الأول

علم مقارنة الأديان
جذوره وملامح تكوينه

هل طرح القرآن الكريم تطبيقاً عملياً لمقارنة الأديان؟

في بعض النقاشات التي كانت تجري بين الحين والآخر يرتئي بعض العلماء أن القرآن الكريم حوى من الآيات الكثيرَ مما يرتبط بمقارنة الأديان، صحيح أن القرآن الكريم كان آخر الكتب السماوية التي أنزلت على الأنبياء فهو كتاب تشريع وعقيدة ومنهج ديني حياتي وأخروي، لكنه ليس كتاب تاريخ بالمعنى الصرف وليس كتاب علم مقارنة الأديان.

وعندما نتفحص آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الأديان نرى أنها تتناول عقائد بعض الشعوب القديمة وحتى المعاصرة لنزول القرآن الكريم.

فهي من ناحية تاريخية تعرفنا بالعقائد والأديان السابقة على الإسلام. ومن ناحية أخرى تطرح بعض المقارنات بين دين ودين أو بين عقيدة وعقيدة.

وفي بعض الآيات يعرفنا القرآن الكريم أن هناك أمماً وشعوباً لكل منها عقيدته وشرعته.

فيقول تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (المائدة 48).

ويقول تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ (الحج 34).

ويقول تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الحج 67).

فهذه الآيات الثلاث تفسر لنا منهج القرآن الكريم في نظرته لكل الخلق، لكل الأمم والناس.

ولعل المنهج الصحيح في علم مقارنة الأديان يبدأ أولاً بالاعتراف بعقائد شرائع كل البشر بغض النظر على الاختلاف بينها. والقصد من الاختلاف بين البشر في عقائدهم وشرائعهم هو امتحان الله لهم، وتمييزهم عن بعضهم في مدى إيمانهم واقترابهم من شرعة الله.

ونعتقد أن نجاح هذا العلم من بدايته يرتبط بالنظرة الشمولية لكل إنسان على أنه صاحب معتقد. وهذا الاعتراف ليس له علاقة بالتقييم إن كان سلباً أو إيجاباً، أما مسألة التقييم فتأتي لاحقاً على ضوء تكاملها أو عدمه، أو على ضوء المقاييس التي يراها أصحاب العقائد أنفسهم.

وفي آيات أخريات يؤكد القرآن الكريم أن الأمم جميعها كانت في أساس عقائدها موحدة ثم اختلف أفرادها وتفرقت عقائدهم.

يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ﴾ (مريم 36 ـ 37).

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾ (الأنبياء 92 ـ 93).

وهذا يدل أن الاختلاف في العقائد نشأ بسبب الانحرافات التي جرت في البشر. فهم أحرار فيما يختارون ولا جبرية إلهية في ذلك.

ويشير القرآن الكريم إلى العقائد الكبرى التي كانت منتشرة حين نزوله على قلب رسول الله ﷺ.

فيقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة 62).

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (المائدة 69).

وهذه التصنيفات لم تتعرض إلى تفاصيل العقائد. إنما أشارت الآيات إلى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هؤلاء جميعاً.

وهاتان الآيتان تفتحان أفقاً واسعاً للبحث فيهما من حيث النشأة التاريخية ومن حيث العقائد والتشريعات. وكذلك تفتح أمام العقل باباً لإجراء مقارنة أديان تطبيقية بين العقائد، ومعرفة القواسم المشتركة بينها وكذلك الاختلافات. وتأتي سور قرآنية عديدة لتحدثنا عن تفصيلات عقائدية لأقوام سبقت الإسلام، فتناولت عقائد عاد وثمود والفراعنة وعبدة الأصنام والأوثان. ثم تناولت اليهودية والنصرانية والإسلام.

فماذا قال عن العقائد الوثنية؟

تحدث القرآن الكريم عن قوم النبي إبراهيم عليه السلام وعن عبادتهم فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ (الأنعام 74) وقال أيضاً في ذلك: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام 76 ـ 78).

وهذه الآيات الثلاث المتلاحقة تدلنا على ما وصل إليه التفكير الإنساني من عقائد زمن النبي إبراهيم عليه السلام. فهناك كوكب. وهناك قمر. وهناك شمس. وهذه المعبودات الحسية تشير إلى ذلك العصر الذي انتشرت فيه عبادة الكواكب وما يُرمز لها.

ويقول تعالى: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ (الكهف 15).

فهذه الآية تشير إلى عبادة آلهة متعددة في زمن أهل الكهف وهو الزمن الذي يفصل بين دعوة المسيح ﷺ وبعثه الرسول محمد ﷺ حسب أغلبية المصادر.

ويقول تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ (الفرقان 3).

فيبين الله سبحانه صفات تلك الآلهة التي عبدوها من دون الله. فهي لا تخلق شيئاً ولا تستطيع أن تنفع أو تضر ولا تميت ولا تحيي ولا تستطيع أن تبعث الموتى.

ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٧) فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ﴾ (الأحقاف 27-28).

وهذه الآية أيضاً تشير إلى ما كان من عقيدة أهل الأحقاف الوثنية.

ويقول تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾ (الصافات 91 ـ 96).

ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (نوح 23)، فهذه الآية تشير بشكل واضح إلى أسماء الآلهة التي كان يعبدها قوم نوح في الزمن الغابر والقديم جداً. ويقول تعالى: ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (هود 53)، وهذه إشارة إلى عقيدة قوم هود.

وقد وردت آيات أخريات أعادت على أسماعنا ما كانت عليه الأقوام الوثنية في الزمن الغابر. وجاء بعضها محدداً لبعض المعبودات الوثنية بأسمائها التي تدل على زمن بعينه.

يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) ﴾ (الصافات 123 ـ 125).

ويقول تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ۝٢٠ ﴾ (النجم 19 ـ 20).

في سورة الصافات إشارة إلى عبادة البعل التي انتشرت بين بني إسرائيل زمن النبي إلياس وتشير المصادر التاريخية إلى أن هذا الزمن هو الذي جاء بعد داود وسليمان عليهما السلام وارتداد بني إسرائيل إلى عبادة آلهة الكنعانيين.

أما في سورة النجم فهناك إشارة لأسماء الآلهة التي كان يعبدها الجاهليون من قريش وغيرهم قبل بعثة النبي محمد ﷺ.

وقد جاء القرآن الكريم على كثير من التفصيلات حول العبادة الوثنية، فبيَّن كيفية اعتقادهم بها والغاية من هذه العبادة، ومن ثم حرصهم على محاربة كل من يمس هذه الآلهة بسوء.

وقد وضح فلسفتهم أيضاً تجاه التعدد والأحدية.

يقول تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦ ﴾ (سورة ص 4 ـ 6).

إن هذه الآيات القرآنية وغيرها من الآيات المماثلة توضح لدارس الأديان الكثير من ملامح عقائد الشعوب التي مرت عبر التاريخ منذ زمن نوح عليه السلام وقد نجد فيها الكثير من المواد التي هي أساس علم مقارنة الأديان في جانبه المتعلق بالعقائد البدائية القديمة.

ومن الملاحظ أن علماء الاجتماع والأنثربولوجيا وخاصة إدوارد تايلور وإميل دور كهايم درسوا عادات الشعوب البدائية في أفريقيا وأستراليا وأولوها الاهتمام الأكبر. ويمكن لنا ونحن نؤصل ونساهم في هذا العلم أن نسلط الأضواء على عقائد الشعوب التي ذكرها القرآن الكريم وكرر الحديث عنها في أكثر من سورة.

وحديث القرآن الكريم عن الأقوام الوثنية السابقة له صلة بالمنطقة التي بُعث فيها الإسلام. ونعتقد أن أقوام نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب وكذلك الفراعنة لها صلة بالمنطقة العربية الواسعة.

وعلى الرغم من وجود يهود ونصارى في هذه المنطقة إلا أن عرب الجاهلية كانوا يقولون إن أصنام الكعبة تماثيل قوم صالحين. كانوا يطعمون الطعام ويصلحون بين الخصوم فماتوا فحزن عليهم أبناؤهم وإخوانهم وصنعوا تلك الأصنام على مثالهم وعبدوهم من فرط الحب والذكرى ولكنهم لم يعبدوهم إلا ليقربوهم إلى الله زلفى[1].

وإضافة إلى حديث القرآن المستفيض عن الأقوام الوثنية فقد تناول العقائد السماوية بشكل أوسع، فتناول اليهودية والنصرانية والإسلام، وبين حدود كل عقيدة ومعالمها وبعض تشريعاتها ومسارها عبر التاريخ منذ أن نشأت وإلى وصول الزمن بها إلى عصر رسول الله ﷺ.

ومن خلال الآيات القرآنية الكثيرة نستطيع أن نرى الكثير من تطبيقات تدخل في صلب الأسس الحقيقية لعلم مقارنة الأديان.

فعرّف الإسلام تعريفات شمولية واضحة وقاطعة وبذلك فقد وضع الأسّ الأول لتعريف هذا الدين تعريفاً شمولياً واضحاً.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران 19).

وربط هذا الإسلام بجميع الأنبياء وبخاصة بالنبي إبراهيم عليه السلام.

فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (النساء 125).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (الأنعام 161).

وقال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ (الشورى 13).

وربط الإسلام بالإيمان وبين أركانه وأسسه العقيدية. وأوضح ما للعبادات من شأن في هذا الدين.

---

(1) عباس العقاد. الله. ص 31. كتاب في نشأة العقيدة الإلهية، دار المعارف مصر 1964.

وعندما تحدث عن الإسلام أوضح أن القرآن الكريم هو الكتاب الذي أنزله الله لأمة الإسلام، واصطفى النبي محمداً ليبلغ رسالة الله إلى الناس.

وباختصار فإن القرآن الكريم أوضح هذا الدين وكتابه ونبيه وعقيدته وتشريعاته وهو الدين الذي يُقاس عليه في علم مقارنة الأديان وخاصة العقائد السماوية، وحين تحدث عن الدين الذي كلف به موسى ﷺ، جاء بالمصطلحات والمسميات التي تناسب مع التطور التاريخي لبني إسرائيل.

فهم بنو إسرائيل الذين ارتبط ذكرهم بموسى وداود وعيسى وسليمان عليهم السلام. ثم سمى بعضهم اليهود أو الذين هادوا. ثم أطلق صفة أهل الكتاب عليهم وعلى النصارى، وذلك بسبب إتيان موسى كتاباً وإتيان عيسى كتاباً آخر. ومن خلال مسيرة عقيدتهم بيّن التقلبات التي طرأت عليهم وعلى عباداتهم وعلاقتهم بالأنبياء والكتاب والمعاملات والعبادات والتشريعات من حلال وحرام وما إلى ذلك.

وقد ربط بهم التوراة ككتاب أنزل على الأنبياء، ثم بين تحريفهم له وأسباب هذا التحريف وغاياته، وأوضح معتقداتهم المختلطة بالأساطير والوثنية والسحر وأوضح أيضاً أن لهم قبلة غير قبلة المسلمين، وأنهم لا يعترفون إلا بما شُرع لهم.

لكن القرآن الكريم أوضح أن من أهل الكتاب أناس مؤمنون صالحون، وقد بدت الفروق الإيمانية بينهم وبين الذين كفروا.

فقال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (آل عمران 113-114).

ويقول تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف 159).

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة 24).

وتحدث القرآن الكريم عن كتاب موسى عليه السلام باعتباره النبيّ الأول في بني إسرائيل وأشار لما فيه من رحمة وهدى ونور لبني إسرائيل. ومن المعروف أن علم مقارنة الأديان يستند في كثير من جوانبه على تلك الكتب المقدسة التي أنزلت على الأنبياء والكتب التي يقول أصحابها إنها الأقدم من بين كتب العقائد والديانات كالهنود والإيرانيين القدماء.

والملفت للنظر أن القرآن الكريم حين تناول بني إسرائيل أعطى ملامح واضحة وقريبة من التكامل من حيث التاريخ بحيث يفيد ذلك في علم تاريخ الأديان، وفي نفس الوقت تحدث عن عقيدتهم وتشريعاتهم بحيث يفيد ذلك في علم مقارنة الأديان.

تحدث عن خروجهم بقيادة موسى عليه السلام من مصر إلى سيناء وما جرى معهم من أول رحلتهم إلى انقطاع الحديث عن موسى عليه السلام ـ كعبادتهم للعجل وارتدادهم، ثم معاندتهم وتكذيبهم وقتلهم الأنبياء وتحريفهم لكلام الله وأخذ الميثاق عليهم وإلقاء العداوة بينهم، وشدة حرصهم على الحياة، وعداوتهم لله والملائكة والمؤمنين وغرورهم وأمانيّهم وعدم رضاهم عمّن لم يتبع ملّتهم وأقوالهم وجرأتهم على الله والأنبياء. ثم تناول ما حُرم عليهم وقضاء الله إليهم أنهم سيفسدون مرتين. وتحدث عن أصحاب السبت منهم. وبذلك تتكامل صورة العقيدة اليهودية من خلال التاريخ والتشريع والعقيدة ذاتها بحيث تصبح مادة وافرة لتطبيق علم مقارنة الأديان.

وتناول القرآن الكريم النصرانية فتناول الشخصيات المرتبطة بحياة المسيح عليه السلام كالنبي زكريا والنبي يحيى، وأمه مريم وأم أمه امرأة عمران وكذلك تناول الحواريين، ثم تناول بني إسرائيل الذين رفضوه ورفضوا عقيدته ولعل أهم ما تناوله القرآن الكريم عن النصرانية، قضية ادعائهم بألوهية المسيح وصلبه، وهذه أغنى مادة للمقارنة بين موقف الإسلام والمسيحية خاصة مسألة الألوهية.

ونلاحظ أيضاً شيئاً من التسلسل التاريخي لما يرتبط بمريم وولادتها للمسيح وما جرى من أحداث لها وله.

يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة 30).

وهذه من الآيات التي تشير إلى الذين كفروا قبل النصرانية، قالوا بأن بوذا ابن الله. وكذلك كثير من الأقوام كاليونان والرومان نسبوا إلى الله أولاداً وبناتاً. فنرى في ذلك أيضاً مادة خصبة للمقارنة بين المسيحية وغيرها من العقائد التي قالت بذلك.

غير أن القرآن كما أشار إلى مؤمنين من اليهود كذلك أشار إلى مؤمنين من النصارى، والإيمان هنا علامة فارقة بين طرفين من أصحاب عقيدة واحدة، فيقول تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ (الحديد 27).

وتناول القرآن الكريم بالمقارنة بين المؤمن والكافر. وأوضح مقياس كل منهما وكذلك جاءت فيه آيات بينات تناولت مسألة الروح، والموت، واليوم الآخر وتناول عدداً كبيراً من الأنبياء ومناهجهم الدينية الدعوية وتناول الجنة والنار.

وفي التشريعات تناول الحرام والحلال، في المأكل والمشرب والنكاح والزنى والربا والغلو في الدين والبغي والظلم ووأد البنات وقتل الأولاد والقتل ظلماً وتحدث عن الكفارات والرضاع وملحقات أخرى بزوجة الميت وكذلك السرقة وتعدد الزوجات والميراث والصيد، والكثير من القضايا التشريعية.

ونستخلص من ذلك أن القرآن الكريم بهذا المنهج التكاملي الشمولي منحنا عدة مفاتيح للدخول إلى علم مقارنة الأديان، ونستطيع أن نجمل ذلك في ما يلي:

1 ـ تسليط الضوء على عقائد الوثنيين.

2 ـ تسليط الضوء على الأمم التي أنزل الله إليها كتاباً، الإسلام، اليهودية، النصرانية.

3 ـ تسليط الضوء على الكتب السماوية، القرآن، التوراة، الإنجيل، الزبور.

4 ـ تسليط الضوء على تشريعات وتفاصيل في عقيدة كل أمة.

5 ـ تسليط الضوء على الواقعة التاريخية المرتبطة بالعقيدة.

6 ـ تسليط الضوء على عدد كبير من الأنبياء عبر التاريخ.

7 ـ تسليط الضوء على مقاييس الكفر والإيمان.

8 ـ تسليط الضوء على مفاهيم، الألوهية، النبوة، الجن والإنس وعباداتهم الموت واليوم الآخر، الملائكة وما وراء الطبيعة بشكل عام.

فهذه المواضيع بشكل عام هي موضوعات مقارنة الأديان التي يمكن التأصيل لها.

مساهمات علماء العرب والمسلمين في التأصيل لعلم مقارنة الأديان

ظهرت أولى البوادر لبعض الآراء حول الأديان في أوروبا في نهاية القرن التاسع عشر ولم يسبق ذلك أن طرح العلماء الغربيون مثل هذه الآراء.

ولكن للإنصاف نقول: إن مقارنات خاصة بالمسيحية الغربية ظهرت منذ القرن الثالث والرابع الميلاديين عندما ظهرت بوادر الانقسام بين المسيحيين أنفسهم حول طبيعة المسيح والروح القدس. وعلى إثر ذلك جرت نقاشات طويلة حول ذلك أدت بالتالي من حيث لا يشعر المتناقشون إلى مقارنة داخلية بين الآراء المختلفة حول طبيعة المسيح.

غير أن ذلك لا يعد من ضمن مقارنة الأديان لأنه انغلق حول مسألة مسيحية داخلية لم تتعدها إلى عقائد وديانات أخرى.

ويرى بعض الباحثين أن علم مقارنة الأديان علم جديد لم يبلغ أقصى عمر له المئة والخمسين سنة، ويرون أن العلماء الغربيين هم من نظروا لهذا العلم وأسسوا له ويُرجع بعضهم بعض جذور هذا العلم إلى العالم الألماني الشهير ماكس ميللر سنة 1900م. على أية حال، فإن السبق التاريخي يحتم علينا أن ندرس ماذا نظر له علماء الغرب بعد أن نلقي الأضواء على علماء العرب والمسلمين الذين أسهموا بشكل كبير في تأصيل هذا العلم دون أن يكون في أهدافهم اختراع علم اسمه علم مقارنة

الأديان، لكن ما فعلوه في كتبهم وطرح أفكارهم جاء على شكل تطبيقات واضحة بين الأديان بكل جوانبها.

والواقع (فإن درس الملل والأديان والنحل والمذاهب دراسة تاريخية وتحليلية مقارنة لهو أمر من صميم الثقافة الإسلامية والتراث الإسلامي، بل إننا لا نعدو الصواب إذا قلنا إن الأبوة الشرعية لهذا الحقل العلمي تكمن في هذه الثقافة الإسلامية وتراثها الخالد الثرّ العظيم. ولا ريب عندنا أنه كان لتوجيهات القرآن الكريم وهدايته أبلغ الأثر وأعمقه في نشأة هذا الفرع العلمي ووضع أصوله ومنهج بحثه وقواعد درسه)[1].

وعندما نعود إلى تاريخ الدولة العباسية نرى أن مناظرات عقائدية كانت تجري بين الحين والآخر بين كبار علماء المسيحيين والمسلمين واليهود وغيرهم. وقد كان لبعض الخلفاء كالرشيد والمأمون دور في تشجيع هذه المناظرات. وبحق تعتبر هذه المناظرات إحدى ملامح مقارنة الأديان.

ومما يلاحظ أن ذلك بدأ بشكل فردي ثم توسع بحيث نراه مرافقاً للحركة الفكرية والدينية التي ظهرت في عصر الخليفة العباسي المأمون.

ومما يذكر في هذا الحوارات التي كانت تجري بين هارون الرشيد وطبيبه المسيحي، ويُذكر أيضاً أن المامون كان قد جمع بين كلثوم بن عمرو العتابي المعتزلي وابن فروة النصراني فقال لهما: تكلما وأوجزا فقال العتابي لابن فروة: ما تقول في عيسى المسيح قال ابن فروة: أقول إنه من الله قال العتابي: صدقت ولكنّ (مِن) تقع على أربع جهات لا خامس لها.

ومن كالبعض من الكل على سبيل التجزيء، أو كالولد من الوالد على سبيل التناسل أو كالخل من الخمر على سبيل التحول. أو كالصنعة من الصانع على سبيل الخلق من الخالق، أم عندك شيء تذكره غير ذلك.

---

(1) د. محمد عبدالله الشرقاوي. مقارنة الأديان بحوث ودراسات ص 5 دار الهداية القاهرة ط 1 1986.

فقال ابن فروة لابد أن يكون هذه الوجوه. فما أنت تجيبني إن تقلدتُ مقالة منها؟ قال العتابي: على سبيل التجزي كفرت. وإن قلت على سبيل التناسل كفرت وإن قلت على سبيل التحول كفرت وإن قلت على سبيل الفعل كالصنعة من الصانع والمخلوق من الخالق فقد أصبت. فقال ابن فروة فما تركت لي قولاً أقوله وانقطع[1].

وجرت حوارات عديدة بين علماء مسلمين ونصارى كما ذكرت الكتب العديدة كالحوار بين ابن الطلاع ونصراني من قرطبة. وحوارات المسعودي مع أبي زكريا النصراني وبين ابن رشيق القيرواني وقسيس من مراكش، وحوار بين الفخر الرازي وقسيس من خوارزم[2].

والواقع أن كثيراً ممن دخلوا في الإسلام بعد الفتح كانوا من ديانات مختلفة، يهودية ونصرانية ومانوية وزرداشتية وبراهمة وصابئة ودهريين الخ، وكانوا قد نشأوا على تعاليم هذه الديانات وشبوا عليها، وكان ممن أسلم علماء في هذه الديانات فلما اطمأنوا وهدأت نفوسهم واستقرت على الدين الجديد وهو الإسلام أخذوا يفكرون في تعاليم دينهم القديم ويثيرون مسائل من مسائله ويلبسونها لباس الإسلام، وهذا ما يعلل ما نرى في كتب الفرق من أقوال بعيدة كل البعد عن الإسلام. فنرى أحمد بن حائط يقول في التناسخ شبه ما يقول البراهمة ويقول في المسيح قولاً يشبه قول النصارى[3].

وأصبحت البلاد الإسلامية ساحة تعرض فيها كل الآراء وكل الديانات ويتجادل فيها. ولا شك أن الجدل يستدعي النظر والتفكير ويثير مسائل تستدعي التأمل، وتحمل كل فريق على الأخذ بما صح عنده من قول مخالِفه.

وكانت بعض الأديان وخاصة اليهودية والنصرانية قد تسلحت بالفلسفة اليونانية، ففيلون اليهودي 25 ق م 500 ب م كان من أوائل من فلسف اليهودية

---

(1) عيون المناظرات ص 213.

(2) د. بسام العجك، الحوار الإسلامي المسيحي.

(3) أحمد أمين ـ ضحى الإسلام جـ 3 ص 7.

بالإسكندرية وكليمان الإسكندري ولد نحو سنة 150م وأوريجين سنة 185ـ 254م من أوائل من مزجوا النصرانية بالأفلاطونية الحديثة وتبعهم كثير من النصارى النساطرة. وقد أدى هذا إلى أن يلجأ المعتزلة إلى مثل هذا السلاح الذي لجأ إليه خصومهم ومن هذا الاحتكاك بين المعتزلة وأمثالهم وبين الملل الأخرى نشأت بين المسلمين أقوال مختلفة. وقد اضطرهم ذلك إلى أن يقرؤوا الفلسفة اليونانية وينتفعوا بالمنطق واللاهوت اليونانيين. فنرى النظام يقرأ أرسطو ويرد عليه والعلاف كذلك)[1].

والواقع أن العصر الذهبي للمناظرات بين أصحاب العقائد والأديان بلغ ذروته في عصر المأمون، وتتيح لنا المدونات عن هذه المناظرات مادة غنية في علم مقارنة الأديان بينما كانت تعيش أوروبا في عصر أدنى بكثير مما نراه في العصر العباسي من حيث اهتمامها أو اطلاعها على المناظرات الدينية بين أصحاب العقائد.

وبعد مرحلة المناظرات الفردية التي شهدها العصر العباسي الذهبي تدخل مرحلة جديدة تستمر طويلاً وتظهر فيها كتب ومصنفات مخصصة لدراسة العقائد والأديان فيبدأها ابن حزم الأندلسي الذي ولد في قرطبة سنة 384هـ ـ 994م.

ومنذ 1030م شرع ابن حزم في وضع مؤلفه الضخم الفصل في الملل والأهواء والنحل وهو كتاب لم يسبق إلى مثله في الفكر العالمي، عرض فيه لمختلف الفرق الإسلامية والديانتين اليهودية والنصرانية[2]. وقد توفي سنة 456هـ.

وبعد حوالي 90 عاماً ظهر كتاب الشهرستاني الملل والنحل جمع فيه صاحبه آراء ومذاهب مئات من الملل والعقائد والمذاهب الدينية. وكان نافذة مشرعة على هذه العقائد وتعاليمها وأفكارها العقائدية وقد توفي الشهرستاني في سنة 548هـ.

ثم ظهر كتاب الفرق بين الفرق للخطيب البغدادي وهو يعادل في بحثه ما قدمه الشهرستاني.

---

(1) أحمد أمين ـ ضحى الإسلام جـ 3 ص 8.

(2) مقدمة كتاب الفصل لابن حزم ص 4.

وفي نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الهجري قدم الشيخ ابن القيم الجوزية كتابه المهم هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى واعتمد فيه على المقارنة بين أقوال أصحاب العقيدتين وبين قول الله سبحانه في مسائل عقيدية وتشريعية عديدة. وفي القرن الثالث عشر هـ ظهر كتاب غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود للحبر اليهودي الذي أسلم السموأل بن يحيى المغربي وفيه ردود صارخة خاصة بأصحاب العقيدة اليهودية. ومن أهم وأخطر ما ظهر من كتب في ذلك كتاب إظهار الحق لرحمة الله الهندي الذي ظهر تقريباً بعد عام 1270هـ وهو من أحدث ما كتب في مقارنة الأديان من قبل عالم مسلم متضلع في المقارنات.

أما في العصر الحديث فكان أبرز من أجرى المقارنات العقائدية بين الإسلام من جهة واليهودية والنصرانية من جهة أخرى هو الشيخ أحمد ديدات هندي الأصل ومن جنوب أفريقيا، وقد أثارت مناقشاته مع القس البروتستانتي سويجرت صدى عالمياً لا سيما وأنها نقلت إلى أشرطة الفيديو والتلفاز في كافة أرجاء المعمورة.

وإذا انتقلنا إلى العصر الحديث وجدنا عدداً كبيراً من الباحثين العرب والمسلمين تناولوا بالدراسة كتاب التوراة وكذلك الأناجيل المعتمدة من قبل الكنيسة الكاثوليكية وبعض الكنائس الأخرى. وكانت جل دراساتهم تطبيقية ولم ندرك أي كتاب ينظّر لعلم مقارنة الأديان.

ومن الكتّاب الذين تناولوا الإسلام واليهودية والنصرانية وأديان الهند الكبرى الدكتور أحمد شلبي وأفرد لكل عقيدة كتاباً معتبراً ذلك يدخل في علم مقارنة الأديان. والملاحظ عليه أن ما كتبه هو أقرب إلى تاريخ الأديان من علم مقارنة الأديان.

ومن الذين تصدوا لدراسة العهد القديم بشكل واسع وجدي الدكتور الشيخ أحمد حجازي السقا وله في ذلك مجموعة من الكتب أهمها نقد التوراة أسفار موسى الخمسة.

ومن الكتاب الذين تناولوا بالدراسات والبحوث موضوعات تتعلق بالعهد القديم الدكتور محمد عبدالله الشرقاوي. وقد أصدر مجموعة من الكتب التي تتناول

ذلك بالنقد والدراسة كان منها الكتاب الأول تحت عنوان في مقارنة الأديان بحوث ودراسات. وقد درس فيه تعريفاً بأسفار العهدين القديم والجديد. ومخطوطات العهدين والنقد العلمي لسفر العهد القديم والأناجيل والرسائل، ومكانة الأنبياء في التوراة والقرآن الكريم وملامح الشخصية الإسرائيلية في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم.

وتناول الدكتور صبري طعيمة في عدد من الكتب التراث الإسرائيلي، وكان من أهمها، كتابه الضخم التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه وقد صدر في عام 1979 في بيروت.

وتناول الشيخ محمد علي برو العاملي الكتاب المقدس في كتابه المعنون الكتاب المقدس في الميزان.

ومن البحوث التي تناولت بعض المقارنات بين المسيحية والإسلام كتاب القرآن والمسيحية في الميزان لأحمد عمران وفيه يرد على الأستاذ الحداد الذي ألف موسوعة فكرية تتصل بالقرآن والإسلام وكان أهمها كتابه القرآن والمسيحية الذي صدر عام 1995.

ومن نفس الكتب ظهر كتاب الإسلام والمسيحية في الميزان لشريف محمد هاشم الذي صدر في لبنان عام 1988 وقد ناقش هذا الكتاب (كتاب قس ونبي) تأليف الحريري وهناك كتب عديدة تناولت العهد القديم والعهد الجديد بالدراسة الجادة، ويصعب علينا ذكرها جميعها.

وبعد قراءة هذه الكتب والاطلاع على مناهجها والاستفادة مما وقع فيه مؤلفوها من أخطاء تطرقتُ إلى دراسات مقارنة بين القرآن والتوراة واعتمدت منهجاً خاصاً وهو مقارنة النص بالنص خاصة فيما يتعلق بالأنبياء وبعض الأحداث التاريخية الواردة في الكتابين وكذلك تطرقت إلى العقيدة النصرانية كما وردت في القرآن الكريم وكما وردت في الأناجيل واعتمدت نفس المنهج، أي مقارنة النص بالنص. وقد وجدت أن المنهج التطبيقي في علم مقارنة الأديان

يلقى نجاحاً جيداً في أوساط القراء إذا اعتمد مقارنة النص بالنص، وتناول المفاهيم الكبرى من خلاله كمفهوم الألوهية والنبوة والجن والملائكة والموت ويوم البعث. ثم تناول العبادات والتشريعات بالمقارنة وكل ذلك يعتمد على أسلوب نقدي يستند إلى المعالجة التاريخية والنقدية ومستعيناً بما قدمته العلوم الأخرى كعلم التاريخ وعلم الآثار، وعلم الاجتماع، وعلم الأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم.

إضاءات حول جهود علماء الغرب في الأديان ومقارنتها

ظهرت بحوثٌ في الأديان عند علماء الاجتماع والأنثروبولوجيين الغربيين قبل أن يظهر النظر في العقائد والأديان الكبرى. ولم يكن وارداً في تفكيرهم التأسيس لعلم مقارنة الأديان.

وقد أسفرت المحاولات الأولى لدراسة الأديان عن كثير من الضلالات والأساطير التي آمن بها الإنسان الأول، ولا تزال لها بقية شائعة بين القبائل البدائية أو بين أمم الحضارة العريقة[1].

وقد اتفق الأوائل من علماء الغرب المهتمين بأصول الديانات على تأصل العقيدة الدينية في طبائع بني الإنسان من أقدم أزمنة التاريخ، ولكنهم لم يتفقوا على أصل العقيدة أو أصل الباعث لها ولابد لها من باعث.

وقد ارتأى بعض علماء الأساطير من الغربيين أن الأساطير هي أصل الدين بين الحجج وهو رأي لا يرفض كله ولا يقبل كله.

ومن أبرز العلماء في هذا المجال العالم اللغوي ماكس موللر والذي يرى أن بعض الأساطير وجدت وكان سببها عجز اللغة الإنسانية في نشأتها الأولى.

ومن هؤلاء تايلور الذي قال إن ملكة الاستحياء هي أصل الاعتقاد، ويعتقد تايلور أن الإنسان الأول كان كالطفل في تخيله للأشياء وتمثله لها في صور الأحياء

---

(1) عباس العقاد ـ الله في عقائد الشعوب ص 13.

ويرى سبنسر أن الإنسان الأول كان يؤمن بحياة الأرباب لأن عبادة الأسلاف هي أقدم العبادات على حد قوله.

وقد رأى علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا أن السحر له العلاقة الكبرى في عبادة الأرواح. وتعليل ذلك أن السحر لا يخلق الآلهة وإنما يخلقه السحرة والكهان الذين يخدمون تلك الآلهة ويزعمون أنهم على مقربة منها وعلى علم بما يغضبها ويرضيها.

والأكثرون من ناقدي الأديان يعللون العقيدة الدينية بضعف الإنسان بين مظاهر الكون وأعدائه فيه من القوى الطبيعية والأحياء، فلا غنى له عن سند يبتدعه ابتداعاً ليستشعر الطمأنينة بالتعويل عليه والتوجه إليه بالصلوات في شدته وبلواه[1].

ويستطرد العالم ميللر في طرح آرائه الممهِّدة لعلم مقارنة الأديان حين يشرح معاني الأساطير وعلاقتها بالعقائد والعبادات، فهو يرى أن البصيرة هبة عريقة في الإنسان وإننا مهما نرجع بخطوات الإنسان إلى الوراء فلن يفوتنا أن نتبين أن منحة العقل السليم المستفيق كانت من خصائصه منذ أوائل عهده وأن القول بإنسانية متسلسلة على التدريج من أعماق البهيمية إنما هو قول لن يقول عليه دليل.

ولكثرة ما تعمق ميللر في اشتقاق اللغات ومقارناتها فقد دعا إلى إنشاء كرسي لدرس الديانات المقارنة. ويرى بعض الباحثين أن الفضل في نشأة علم مقارنة الأديان يعود إلى العالم الألماني ماكس ميللر.

وعلى ضوء ما طرحه ميللر فقد أنشئت في لندن كلية اللاهوت التي قامت على دراسة الأديان القديمة والحديثة ولم تقتصر على درس الكتاب المقدس للديانتين اليهودية والمسيحية.

ويرى الكثير من الدارسين الغربيين أن القفزة النوعية في علم مقارنة الأديان جاءت على يد باحث يهودي يدعى أبراهام جايجر. حيث ألف أكثر من كتاب

(1) عباس العقاد ـ الله في عقائد الشعوب ص 18.

ليقارن بين التوراة وبين الإسلام، وقد أصدر كتاباً تحت عنوان ماذا أخذ محمد عن اليهودية؟ وقد صدرت الطبعة الأولى منه عام 1902 في مدينة لايبزغ، ولم يكتف جايجر بضرب المثل بين الإسلام واليهودية بل قارن وهو يضع عقيدته التوراتية نصب عينيه لكن الملفت للنظر أنه في مقدمة كتابه وضع منهجاً للدراسة جاء فيه، أن المتأخر يأخذ من المتقدم، ولا تجوز المقارنة إلا بين موضوعين متجانسين من زمنين وثقافتين مختلفتين، ولابد من توافر عنصرين أو أكثر للمقارنة.

وقد انصب جهد جايجر على قصص القرآن الكريم وعلى التشريع وقارنها بما ورد من قصص وتشريعات في التوراة، وخلص إلى أن القرآن الكريم ليس إلا نسخة مصغرة ومهذبة من التوراة.

وممن ساهم بشكل واضح في تقوية هذا المنهج الباحث سباير وخاصة في كتابه المسمى القصص الكتابي في القرآن وبلغت صفحاته ألف صفحة بدأت بالتكوين وقصة آدم وحواء وقارن ذلك بما جاء في القرآن، مدعياً أن القرآن الكريم استفاد من التوراة.

ومن أبرز الباحثين في مقارنة الأديان الدكتور موريس بوكاي الذي ألف كتاباً مهماً عنونه بـ (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم)، وقد أجرى فيه مقارنات واسعة حول الظاهرات الكونية والبشرية وغيرها، وقد طبع الكتاب بالعربية أكثر من مرة في مصر وليبيا.

وقد اتخذ عدد من الباحثين والمفكرين الغربيين منحىً نقدياً لاذعاً لكتاب التوراة وكذلك الإنجيل. لكن النقد تعرض لمقارنات بين اليهودية والنصرانية وغيرهما من الديانات السابقة أو المعاصرة، ومن أهم من نحى هذا المنحى الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا، وكذلك هورن وكريسياخ وآدم كلارك، وريتشارد سيمون وجاك أستروك.

وقد استفادت حركة نقد أسفار الكتاب المقدس في الغرب من التراث الإسلامي الذي تعرفت عليه بطرق متعددة فائدة غير منكورة.

وإذا نظرنا اليوم إلى مساحة ما قدمه وما يقدمه الباحثون في دراسة العهد القديم التوراة والعهد الجديد الإنجيل، نرى أن مئات الكتب قد صدرت وانتشرت على مساحة واسعة من العالم، ويُلاحظ أن الباحثين العرب والمسلمين التفتوا بشكل واسع لمثل هذه الدراسات خاصة بعد ازدياد ملامح الصراع مع الوجود الصهيوني في فلسطين، وانحياز أميركا إليه، إضافة لبروز التيارات الأصولية المسيحية واليهودية في الولايات المتحدة وبعض الدول الأخرى.

ويبدو أن الباحثين الغربيين تراجعوا عن مثل هذه البحوث بسبب الانحياز الأعمى من قبل السياسيين الغربيين إلى الصف المعادي للإسلام والذي يتمثل بشن أكبر حملة صليبية صهيونية على الإسلام والمسلمين.

وفي ظل شعار اللاسامية صار من المحظور على أي باحث أن ينتقد اليهودية والتوراة أو ينتقد التراث الإسرائيلي والمسيحي. وقد رأينا مصير عدد من الباحثين والمفكرين الذين انتقدوا الصهيونية واليهودية أمثال روجيه غارودي والأب بيير وغيرهما.

ومن الواضح أن موجة التعصب البروتستانتي التي اجتاحت أميركا وأكثر دول الغرب دفعت الباحثين الغربيين بالابتعاد عن نقد كل ما يرتبط باليهود والصهيونية وقد افتقدت أوروبا وأميركا لأي أساس لعلم مقارنة الأديان. وصبت الجهود بابتداع كل ما يمس الإسلام بسوء ضمن حملة صليبية صهيونية واضحة.

الفصل الثاني

مناهج العلماء العرب والمسلمين
ما لـهـا ومـا عليـهـا

الفصل الثاني

مناهج العلماء العرب والمسلمين
ما لها وما عليها

لقد ساهم العلماء المسلمون مساهمة كبيرة في المقارنات بين الإسلام واليهودية والنصرانية فكان لكلٍ منهم منهجه وأسلوبه وتحليلاته، ولا شك أن المستوى العقلي الذي تمتع به بعضهم فتح لهم آفاقاً واسعة من العلوم الفلسفية واللغوية والتاريخية. وقد مثل ذلك الفيلسوف ابن حزم الأندلسي الذي تمتع باطلاع ديني وفكري واسع. على أن ذلك لا يقلل من أهمية ما كتبه العلماء الآخرون الذين غلبت عليهم النزعات العاطفية أو الدينية الصرفة.

وفي هذا الإطار لابد لنا أن نطلع على ما أنتجه أهم العلماء المسلمين في مضمار المقارنات، ولعل أهمهم:

1 ـ ابن حزم الأندلسي وكتابه الفصل بين الملل والأهواء والنحل.

2 ـ ابن قيم الجوزية وكتابه هداية الحيارى.

3 ـ السموأل بن يحيى المغربي وكتابه غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود.

4 ـ رحمة الله الهندي وكتابه إظهار الحق.

وسنترك الحديث عن عدد كبير من الكتب التي ظهرت على مدى ألف عام تقريباً ككتاب الملل والنحل للشهرستاني والفرق بين الفرق للبغدادي وغيرهما، وجميعها ردود على افتراءات اليهود والنصارى التي لحقت بالتوراة والإنجيل ولحقت بالعقيدة الموسوية الصحيحة وكذلك النصرانية في منبعها الأول الذي جاء بها السيد المسيح عليه السلام.

ابن حزم الأندلسي ومنهجه

ابن حزم هو الإمام أبو محمد علي بن أحمد الذي عرف بابن الحزم الظاهري ولد بقرطبة عام 383هـ ـ 994م، وكان أبوه وزيراً للحاجب المنصور، وفي جو أبيه شب ابن حزم في حياة مترفة، وفي عام 1018م تمكن من العودة إلى مسقط رأسه بعد عدة فتن أطاحت بكثير من الملوك والممالك.

واستقر به المقام بعد عام 1024 فشرع في وضع مؤلفه الديني التاريخي الضخم الفصل في الملل والأهواء والنحل، وهو كتاب لم يسبق إلى مثله في الفكر العالمي عرض فيه لمختلف الفرق الإسلامية وتعرض لليهودية والنصرانية بنقد واضح وتوفي ابن حزم عام 456هـ.

يقول المحققان الدكتور محمد إبراهيم نصر والدكتور عبد الرحمن عميرة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في طريقة ابن حزم:

ومن خصائص هذا الأسلوب دقته في المناقشة حتى يسر كل مسلك على معارضه ولا يترك له منفذاً ينفذ منه لاستيفاء الحجج العقلية والمنطقية. وقد اتضح ذلك في مناقشته نصوصاً من التوراة والإنجيل وبيان ما فيها من تحريف وخلط، وتجلى ذلك في إظهاره اضطراب التوراة في الحساب والعد، وكذلك الحال بالنسبة للمدن ورؤساء العشائر.

وابن حزم حاد اللسان في مناقشة خصومه يستعمل معهم كلمات جارحة قاسية وتظهر دوماً حدة انفعاله حتى يخرجه الغضب والحنق إلى استعمال هذه الشتائم وتلك الأساليب القاسية العنيفة، وتكثر الجمل الاعتراضية في أسلوبه مما يعوق فهم المعنى أحياناً.

على أية حال فإن كتاب ابن حزم المؤلف من خمسة مجلدات حوى بين دفتيه الكثير من العقائد والفرق، وقد أدخل على أسلوبه أحياناً التحليل الفلسفي.

وقد ناقش في الجزء الأول قول القائلين بأن العالم لم يزل وأنه لا مدبر له (الملحدون والقائلين بأن العالم لم يزل وأن له فاعلاً لم يزل)، ثم تناول فيه النصارى بمذاهبها وتناول مفهوم النبوة والشرائع وتحدث عن الزرداشتية، ثم تناول التوراة

والعقيدة اليهودية وفصل فيها تاريخياً وعقيدياً وتشريعياً. وتناول فيها أيضاً قضية خلق العالم والسموات والأرض وآدم ﷺ وتناول تحريف التوراة وشخصيات أنبياء بني إسرائيل القدامى والحديثين.

منهج ابن حزم في المناقشة

وقد تناول في الجزء الثاني الأناجيل ومتناقضاتها وناقش فيها شخصية السيد المسيح ﷺ، حياته وادعاء صلبه ورفعه والحواريين ثم الكلام في النبي يحيى ﷺ وقد استغرق الحديث عن النصرانية هذا الجزء بكامله.

أما الأجزاء الثلاثة الأخرى فقد تناولت الفرق الإسلامية من قدرية ومرجئة ومعتزلة وبعض القضايا المتعلقة بأمور فلسفية دينية كالإرادة والاستحالة وما شابه ذلك.

وما يهمنا في هذا الإطار هما الجزءان الأول والثاني لأنهما خُصصا لليهودية والنصرانية وهو مجال مقارنة الأديان.

كيف تناول ابن حزم اليهودية؟

في سبيل المقارنة الجادة فقد ذكر الفرق اليهودية السامرية والصدوقية والعنانية والربانية والعيسوية (نسبة إلى أبي عيسى الأصبهاني اليهودي) وقد ذكر بعض الاختلافات بين هذه الفرق. ويأخذ بمناقشة فرق الربانية (أي التلموديين) وهم الكثرة من اليهود، فيدحض مزاعمهم في قضية النبوات والنسخ والمعجزات ومما يلفت النظر أن ابن حزم حين يقارن فإنه يلجأ إلى الآيات القرآنية المتعلقة بالأنبياء والأحداث التي في كتب اليهود، وهذا أقرب إلى مقارنة النص بالنص، ولكن ليس في كل شيء إنما حينما يُوجب ذلك، وحين تفرض المناقشة التي يطرحها. ثم يتناول كتاب التوراة، فيقارن بين التوراة والسامرية والتوراة العبرانية فيناقش ما اتفقتا عليه وما اختلفتا فيه، وينقد بشكل حاد ما ورد فيهما من تخبطات وتناقضات لا تصح مع علم التاريخ ولا مع المنطق العقلي ولا مع الوقائع. ويسير مع التوراة سفراً سفراً حتى ينتهي به المطاف إلى آخر أسفارها.

والواقع أن ابن حزم لم يترك مفصلاً أو قضية ذات أهمية إلا وناقشها ودحض مزاعمها وأبدى قسوة بالغة وكلاماً جارحاً تجاه التلفيقات التي كتبها كتّاب التوراة ويتناول بالنقد التوراة السبعينية (اليونانية) ويقارنها بالعبرانية والسامرية ويصل إلى نتيجة أن كل واحدة تختلف عن الأخرى بعدد الأسفار والقصص والشخصيات والتواريخ وما إلى ذلك.

وفي هذا الجزء يتناول ما قالته التوراة عن الذات الإلهية من تجسيم وتشخيص ووصف بصفات البشر.

منهج ابن حزم في المقارنة

وحين تناول النصرانية راح يقارن بين ما كان عليه اليهود وما أحدثه النصارى بعد رفع المسيح ﷺ، ثم تناول قضايا تتعلق بشخص المسيح ﷺ كإحياء الموتى وشفاء المرضى، ثم تناول الأناجيل وتاريخ تأليفها وما لفها من كذب يخالف المنطق اللغوي والتاريخي والديني.

ثم يناقش مسألة صلب المسيح كما يدعي النصارى، وقيام المسيح وتضارب الأناجيل في ذلك وفقدان الإنجيل الأصلي الذي أُوتي للمسيح، ويرد على من قالوا بألوهية المسيح وتقسيم الإله إلى ثلاثة أقانيم.

ويلجأ إلى الآيات القرآنية في هذا الشأن مدعماً تحليله وشرحه لما ورد في الأناجيل من أمور مخالفة ومبتدعة.

نستخلص من منهج ابن حزم:

1 ـ تناوله لكل القضايا المفصلية في التوراة والإنجيل.

2 ـ يقارن بين كتب التوراة الثلاثة السامرية والعبرية والسبعينية، ثم يقارن ما جاء فيها بالآيات القرآنية الكريمة.

3 ـ يغلب عليه الطابع الفلسفي المنطقي حيث قرع الحجة بالحجة والبرهان.

4 ـ يقترب أحياناً من مقارنة النص بالنص.

5 ـ يستفيد من علم اللغة والتاريخ وعلم منطق الكلام.

6 ـ يدل منهجه على ثقافة واسعة متعمقة لكتاب التوراة وكذلك لكتاب الإنجيل ويظهر أنه غاص في أعماق الكتابيين، وهذا ما جعل مناقشاته تقنع العقل قبل النفس.

ابن القيم الجوزية ومنهجه

شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيّم الجوزية إمام علامة معروف، تُوفي سنة 751هـ، وكان كتابه هداية الحيارى مخصصاً للرد على اليهود والنصارى فيما يتعلق بالعقيدتين، وآخر تحقيق لهذا الكتاب صدر عام 2001م ـ 1421هـ وقد حققه أحمد عبد القادر الرفاعي.

يختلف منهج ابن القيم عن منهج ابن حزم اختلافاً جذرياً، فهو في كتابه هداية الحيارى يركز على دراسة التوراة والإنجيل من حيث إيراد البشارات التي تبشر بالنبي محمد ﷺ، فيورد عشرات النصوص التوراتية والإنجيلية التي ترتبط بهذا الشأن.

وفي القسم الثالث من الكتاب يتناول بالدراسة والتحليل أصول التكوين العقائدي لليهود والنصارى، فيتحدث عن تحريف التوراة بالقول والتحريف في البشارات والتبديل باللفظ والمعنى، ثم يتناول بعض التشريعات اليهودية وبعض الادعاءات النصرانية المتعلقة بألوهية المسيح، فيدحض مزاعمهم ويثبت بالحجة القاطعة أكاذيبهم ثم يبين دور زعماء المسيحية الرومانية في التحريف الأكبر الذي أدخل إلى النصرانية، والملفت للنظر أنه يعلق بشكل تحليلي على دور بولس في اختراع دين جديد أطلقوا عليه المسيحية، وجميع ما جاء في أقواله مخالف لأقوال المسيح وحياته البشرية النبوية.

ويقارن بين نسخ التوراة والإنجيل ويبين تناقضاتها وتواريخ كتابتها، ويتناول التوراة السامرية والتوراة العبرانية وما بينهما من تناقض وخلاف. ويستعين بآيات القرآن الكريم الموضحة لموقف الإسلام من تحريف اليهود والنصارى. ومن أهم سمات منهجه أنه يتناول المقاطع التاريخية الموجودة في التوراة فيناقشها ويفند مزاعم أصحابها وتناقضاتها.

غير أن تركيزه كان على مسألة البشارات التي وُجدت في التوراة والإنجيل وهي تبشر بمقدم النبي محمد ﷺ ومدى ما حاول اليهود والنصارى حرفه عن معانيه الصحيحة.

ومما يلفت النظر أن عدداً من العلماء الحديثين ناقشوا مسألة البشارات كما فعل الأقدمون، وأهمهم البروفسور عبد الأحد داود الذي ألف كتاباً خاصاً بتلك البشارات وهو كتاب (محمد في الكتاب المقدس) وقد أصبحت كتب هؤلاء العلماء مراجع أساسية لمن يريد أن يبحث في هذا الموضوع بالذات.

السموأل بن يحيى المغربي ومنهجه

يعتبر السموأل بن يحيى المغربي من أهم العلماء اليهود وكبار رجال الدين فيهم هداه الله إلى الدين الحنيف في أواخر سني حياته، وفي هذه السنين الأخيرة من حياته ألف كتابه المهم غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود.

وقد جمع من العلوم الخاصة بالتوراة والإنجيل ما لم يجمعه الكثير من العلماء فقد عرف التوراة في عمقها وخبر لغتها العبرية وتشريعاتها وتاريخها وتأليفها.

يبدأ السموأل بالحديث عن مسألة النسخ والتبديل والتحريف في كتاب التوراة، ومنذ المقدمة يستخدم أسلوب التساؤل الاستنكاري حول نسخ بعض الأحكام الأساسية في التوراة، ويُظهر فيها قوانين النسخ ونواميسه المتعارف عليها في العقائد والأديان ويظهر على أسلوبه طغيان المناطقة أو علم الكلام الذي كان عند المعتزلة. فناقش مسألة التواتر في الرسالات وأخذ يقيس ما قاله اليهود من تواتر دينهم على الأديان الأخرى وخاصة الإسلام.

ويأخذ بمناقشة بعض أحكام التوراة ويؤكد بطلانها لأن كتبة التوراة أنفسهم أبطلوها فيناقش مسألة الطهارة والتطهير ولا سيما طهارة الحائض ومبالغات اليهود فيها من عندهم دون نص شرعي توراتي.

ثم يناقش بعض العبادات كالصلاة والصيام فيأتي على ذكر نصوص من التوراة لم يتقيدوا بها بل ابتدعوا للصلاة والصيام وجوهاً غير أصيلة في عقيدة

موسى عليه السلام منها مثلاً صيام إحراق بيت المقدس وهو ما ابتدعه اليهود ولم يكن في التوراة، ويورد في كتابه أوجهاً عديدة في نسخ الأحكام التورانية.

ثم يناقشهم بنبوة المسيح عليه السلام ويثبت لهم أنهم كانوا ينتظرونه لكنهم أنكروه وحاربوه.

ثم يناقشهم بنبوة محمد ﷺ ويثبت من خلال تحليله لنص التوراة أنهم ملزمون باتباعه لأن التوراة أشارت إلى ذلك. ويذكر الآيات والعلامات التي في التوراة تدل على نبوة محمد ﷺ، ويعود إلى الجانب التاريخي الذي تحدثت به التوراة وبقرع حججهم من قبله يُسقط كل أقواهم، ثم يذكر المواضيع التوراتية التي تشير إلى نبوة موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

ويأتي على ذكر الكثير من علامات خروج اليهود عن شريعة الله ودخولهم في الكفر، خاصة فيما فعلوه من قتل لبني دينهم.

ثم يتناول الإجابة عن سؤال في ذكر السبب في تبديل التوراة.

ويعقد فصلاً في سبب عدم اعتراف اليهود بدين الإسلام، وافتراءاتهم على النبي محمد ﷺ.

وأهم من ذلك كله يتحدث عن فرق اليهود وما لكل فرقة من تعاليم، فيتحدث عن فرقة الحاخامات ممن يسمون بالتلموديين وكذلك يتحدث عن القرائيين العنانيين ويُنكر على المتشددين منهم معاملتهم السيئة لإخوانهم من بقية الطوائف اليهودية وفي خاتمة كتابه يبين منهجه العقلي بقوله:

(وعلمت أنه إذا كان أصل التمسك بالمذهب الموروث عن السلف وأصل اتباع الأنبياء مما دعا إليه العقل فإن تحكيم العقل على جميع ذلك واجب، وإذا نحن حكمنا بالعقل على ما نقلناه عن الآباء والأجداد علمنا أن النقل عن السلف ليس يوجب العقل قبوله من غير امتحان لصحته بل بمجرد كونه مأخوذاً عن السلف).

وبذلك يطرح السموأل مسألة هامة: وهي أن العقل هو الموصل إلى الحقائق وليس كل ما نُقل عن السلف صحيح إلا إذا دُعّم بموافقة العقل عليه.

ومن أهم عناصر منهجه أنه يورد النصوص التوراتية باللغة العبرية وبالخط العربي، ثم يفسر هذه النصوص مترجماً إياها إلى العربية حتى لا تبقى غامضة على القارئ.

وبشكل عام فإنه لم يتعرض إلى مقارنات دينية بين عقيدتين إنما أراد من كتابه الرد على أصحاب التوراة وما زوروه من أحكام وتشريعات وعبادات وتنبؤات خاصة بالنبي محمد ﷺ، وهذا يذكرنا بمنهج الشيخ الإمام ابن القيم الجوزية في كتابه هداية الحيارى.

رحمة الله الهندي وكتابه إظهار الحق

بدأت قصة كتاب إظهار الحق لرحمة الله خليل الرحمن الهندي منذ حوالي مئة وخمسين عاماً عندما جرت مناظرات حول التوراة والإنجيل بينه وبين القسيس فندر ومجموعة من القساوسة الذين نشروا مجموعة من الكتب تطعن في الإسلام وتجرحه، وذلك في الهند عندما كانت تحت الاحتلال البريطاني.

وجرت المناظرات في مسألتي النسخ والتحريف وكانت الغلبة فيها لرحمة الله الهندي فامتنع القس عن متابعة المناظرات، وكان قد سجل المناظرات وحضرها المترجم الثاني للدولة الإنجليزية عبدالله الهندي باللغة الأوردية ثم ترجمها الأستاذ رفاعي الخولي. وبعد فترة راح الشيخ رحمة الله الهندي يناقش بقية المسائل التي لم تجر حولها مناظرات فخرج كتابه إظهار الحق في أبواب ستة، وقد طبعت الزيادات في الأستانة (أسطنبول) ولم تُلحق بالكتاب الأصلي إظهار الحق.

يأتي كتاب إظهار الحق في خمسة أبواب، تناول في الأول كتب العهد القديم والجديد وبين أسماءها وافتقاد أهلها للسند المتصل والاختلاف والأغلاط في هذه الكتب واستبعاد أن هذه الكتب منزلة من الخالق. وتناول في الباب الثاني إثبات التحريف، ومنه التحريف اللفظي بالتبديل والزيادة والنقصان، وفي الباب الثالث تناول إثبات النسخ، فأبطل التثليث بالبراهين العقلية، وأبطله من خلال أقوال المسيح عليه السلام ثم أبطل الألوهية بالحجج الدامغة، أما الباب الخامس فتناول فيه الرد

على القساوسة وأثبت أن القرآن كلام الله، ودافع عن صحة الأحاديث النبوية، ثم دفع شبهات القسيسين على الحديث.

منهج رحمة الله الهندي:

يسجل له الكتاب ـ إظهار الحق ـ اطلاعاً واسعاً وعميقاً على كتب اليهود والنصارى فلا يترك شاردة ولا واردة إلا ويورد نصها ويرد عليها... ويناقش سند الأسفار التوراتية والإنجيلية سفراً سفراً. ويبين بالأدلة العقلية والتحليلية أن هذه الأسفار مقطوعة السند. وعندما تنسب إلى أصحابها فإن ذلك يعني أنها من تأليفهم، ثم يتناول ضياع النسخ الأصلية لبعض الأسفار في عهد يوشيا بن آمون. ويؤكد رحمة الله الهندي قطعاً أن كتاب التوراة اخترعه عزرا الكاتب وليس هو الكتاب الذي كان بين يدي موسى عليه السلام، ويحلل الظواهر التاريخية الموجودة في التوراة كحادثة الخروج وأعداد بني إسرائيل المتوهمة من قبل كاتب ومدون التوراة. ويناقش مسألة تدوين التوراة بعد موت النبي موسى عليه السلام بـ 700 عام فيرى أن وقوع الاختلاف في اللسان بحسب اختلاف الزمان بديهي. ثم يتعرض لكتابة أسفار التوراة سفراً سفراً ويبين أن تدوينها جاء حسب الزمن التاريخي لاحقاً على ما أُنزل على موسى بمئات السنين فكيف نعتبر هذه الأسفار مقدسة ومنزلة من الله، ويناقش مسألة نسخ الأحكام في التشريع التوراتي فيرى أن النسخ ظل يقع فيها يوماً بعد يوم.

ويناقش الأناجيل وما طرأ عليها من تبديل وتحريف، ثم يناقش القضايا الأساسية في العقيدة النصرانية كمسألة الألوهية، فيأتي بالأدلة العقلية الرافضة لألوهية المسيح ثم يأتي بأقوال المسيح التي تنص على عدم ألوهية المسيح.

ويكرس القسم الأكبر من الجزء الثاني في الكتاب للرد على شبهات القساوسة والافتراءات حول القرآن الكريم ونبوة محمد ﷺ، ويعرج على قصة البشارة بالنبي القادم محمد ﷺ ويأتي بنصوص كثيرة من التوراة والإنجيل، وهذه البشارات تكاد تكون نفسها التي طرحها غيره من العلماء أمثال ابن حزم وابن القيم والسموأل بن يحيى المغربي.

وما يمتاز به رحمة الله الهندي أنه أظهر اطلاعاً واسعاً ومعمقاً للتوراة والإنجيل فلم يترك شاردة أو واردة في الكتابين إلا وناقشهما، ويبدو أنه على اطلاع واسع جداً لتاريخ اليهود والنصارى ومذاهب وطوائف كل من العقيدتين ويأتي باستشهادات من القرآن الكريم متى استوجب الحديث الذي يتناوله.

مناهج مقارنة الأديان المعاصرة

في مجمل ما كُتب في العصر الحديث في عالمنا العربي والإسلامي انصب اهتمام الباحثين على دراسة التوراة أو ما يسمى العهد القديم، فكانت مناهجهم أقرب إلى علم تاريخ الأديان منه إلى علم مقارنة الأديان، وقد يرى كثير من العلماء أن هذه المناهج أقرب إلى الدراسات اللاهوتية المنصبة باتجاه واحد وتكاد تتقارب الموضوعات التي تناولوها بين كافة الباحثين، فيظهر عليها التكرار أكثر مما يظهر عليها الإبداع والتجديد.

ففي مجمل ما كتب نجد أن الباحثين اهتموا بشكل كبير بالجانب التاريخي لتدوين التوراة، فوقفوا كثيراً عند سفر التكوين أول سفر في التوراة وراحوا ينقدون تأريخ تأليفه ومؤلفيه، وما فيه من تناقضات وأمور تعارض التاريخ وتخرج عن الموضوعية التاريخية. وقد انسحب أسلوبهم على بقية الأسفار وخاصة الأسفار الخمسة الأولى من التوراة، وهي التكوين والخروج والعدد واللاويين والتثنية وقد أجمع كافة الباحثين على تقسيم كتاب التوراة العبرانية إلى تسعة وثلاثين سفراً، منها أسفار تاريخية، ومنها أسفار شعرية، ومنها أسفار أنبياء خاصين ببني إسرائيل مثل أرميا وحزقيال ودانيال وملاخي وحجي وغيرها.

ولعل أقرب المناهج إلى علم مقارنة الأديان ما تناوله الدكتور محمد عبدالله الشرقاوي على الرغم من أنه تناول في منهجه الجانب التاريخي لأسفار التوراة إلا أنه طرح أيضاً مواضيع حساسة وهامة تدخل في صلب علم مقارنة الأديان.

ففي كتابه الأول المعنون في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، يدرس تعريفاً وجيزاً بأسفار العهد القديم ومخطوطات العهدين وتاريخ تدوينها، والنقد العلمي

لسند العهد القديم والأناجيل والرسائل من انقطاع سندها وتناقض متنهـا ومكانـة الأنبيـاء في التـوراة والقـرآن الكـريم وملامـح الشخـصية الإسرائيليـة في التـوراة والإنجيل والقرآن الكريم.

ففي ذلك أقرب إلى صب الجهد باتجاه واحـد هـو أقـرب للدراسـة النقديـة لكتابي التوراة والإنجيل.

ويقول إنه يعتزم أن يدرس في أجزاء أخـرى قـضايا تتعلـق بمقارنـة الأديـان ومن أهم البحوث المقارنة، الألوهية في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، والوحي والنبوة في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم.

وفي منحى آخر، فقد اعتمد بعض الباحثين منهج علـم مقارنـة الأديـان مـن خلال التأثر والتأثير بين العقيدتين اليهوديـة والنـصرانية والعقائـد الوثنيـة ومـدى استفادتها من تلك العقائد خاصة ما يتعلق بالذات الإلهيـة والتجـسيد والتجـسيم. وقد ركز بعض الباحثين على التأثر والتـأثير بـين البوذيـة والنـصرانية وكـذلك بـين البرهمية الهندوسية واليهودية.

فجاءت هذه الاتجاهات جزءاً من علم مقارنة الأديان في أحد الوجـوه، وقـد رأينا ذلك واضحاً في كتاب العقائد الوثنية في النـصرانية للأسـتاذ عمـر التنـير، وفي كتاب العقائد الوثنية في اليهودية للدكتور حسن الباش، وكذلك في كتاب المـؤثرات الوثنية في اليهودية للكاتب الباحث الدكتور فتحي محمد الزغبي.

وفي منحى آخر، نرى بعض الباحثين يركز على شخصيات الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم والتـوراة. وبينـوا كيـف تناولـت التـوراة هـؤلاء الأنبيـاء وكيف شوهت شخصياتهم وكيف أنصفهم القرآن الكـريم. وقـد اعتمـد الـدكتور الشرقاوي هذا المنهج في جزء بسيط من كتابه الـذي أشرنـا لـه (في مقارنـة الأديـان بحوث ودراسات) وكذلك فقد كرستُ الجزء الأول من كتاب القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان للمقارنة بين الكتابين فيما ورد عن الأنبياء منذ آدم عليه السلام وحتـى سليمان عليه السلام وقد ارتبطت هذه المقارنة بما يسمى القصص بين التوراة والقـرآن التـي

حوت قصص الأنبياء. وقد جاء ذلك في عدد كبير من الكتب من أهمها كتاب المرحوم علي عبد الواحد وفي الأسفار المقدسة قبل الإسلام.

وتلتقي هذه الكتب حول منهج واحد، وهو تشويه التوراة لهؤلاء الأنبياء وإنصافهم والدفاع عنهم في القرآن الكريم. وقد اعتمد هذا المنهج مقارنة النص بالنص، النص التوراتي بالنص القرآني، وتعتبر مقارنة القصص القرآني بالقصص التوراتي وخاصة المرتبطة بالأنبياء من البحوث السهلة في مقارنة الأديان على اعتبار أن النصوص القصصية واضحة المعالم والأحداث.

ومن خلال اطلاعنا على ما أمكن من الكتب التي تناولت اليهودية والنصرانية وبعض عقائد الشرق القديم نستطيع أن نرى أن غالبية الكتب تناولت التوراة واليهودية أكثر من غيرها من العقائد. وفي غالبيتها تناولت بالنقد هذا الكتاب من حيث المحذوف منه، والمحرف. ومن حيث تناقضات تواريخه وشخصياته وطريقة تأليفه.

مناهج الباحثين في الغرب

يركز بعض الباحثين على دور مهم في مقارنة الأديان للعالم اللغوي المعروف ماكس موللر. على الرغم من أنه لم يكن عالماً في مقارنة الأديان إلا أن بعض الأفكار التي طرحها حول هذا الموضوع اعتبرها الكثيرون هامة. بل اعتبرها بعضهم الأساس في علم مقارنة الأديان.

ومن خلال الاطلاع على الدراسات والبحوث التي قدمها موللر نرى أنه تناول ظاهرة الدين عبر التاريخ وما يرتبط بالأساطير.

ومما يمكن الأخذ به من أفكار حول الأديان تقسيمه للديانات الكبرى والصغرى. ففي سنة 1873 ألقى محاضرة في كنيسة وست منستر ذكر فيها أن الديانات الكبرى ست ديانات منها ثلاث ذات رسالة تدعو الناس إلى الدخول فيها وهي الزرادشتية والمسيحية والإسلام، وثلاث ليست بذات رسالة وهي البرهمية والبوذية واليهودية.

وله كما قلنا آراء في أصل الدين والتدين، فهو يرجح أن الإنسان قد تدين منذ أوائل عهده لأنه أحس بروعة المجهول وجلال الأبد الذي ليس له انتهاء، وأنه مثل لهذه الروعة بأعظم ما يراه في الكون وهو الشمس التي تملأ الكون بالضياء، فهي محور الأساطير والعقائد كما ثبت له في المقابلة بين اللغات واللهجات[1].

ومع كل هذا لم يجر موللر مقارنات عقائدية بين الأديان الكبرى، وظلت بحوثه الهامة ترتبط بدراسة أصل الدين والمقارنات بين الأساطير. ويرى بعض الدارسين أن القفزة النوعية في مجال مقارنة الأديان جاءت على يد الباحث اليهودي الألماني (أبراهام جايجر). فهذا الباحث وضع أسساً لمنهج البحث للدين المقارن، وذلك من خلال كتاب له أطلق عليه (ماذا أخذ محمد عن اليهودية) وظهر عام 1902.

لقد وضع جايجر عقيدته اليهودية كمقياس أساسي يقاس عليه غيره وقد وضع ملامح منهج استند على ثلاثة أمور، وهي:

1 ـ أخذُ المتأخر من المتقدم والعكس غير صحيح.

2 ـ لا تجوز المقارنة إلا بين موضوعين متجانسين من زمنين مختلفين وثقافتين مختلفتين (الإسلام واليهودية).

3 ـ لابد من توافر عنصرين أو أكثر للمقارنة.

وقد انصب همّ الباحث على قصص القرآن الكريم في المقام الأول، وعلى التشريع في الدرجة الثانية، مقارنة بالقصص الديني اليهودي (هاجاداه) وبالشريعة اليهودية (هالاخاه) وقد تبع جايجر الباحث الألماني سباير من خلال كتابه الضخم القصص الكتابي في القرآن وبدأت بالتكوين وهو السفر الأول من التوراة وتليه قصة آدم وحواء والنشوء لتنتهي بأقصر القصص.

ومنذ بداية القرن الثامن عشر صبّت حركة الاستشراق جهدها على مهاجمة الإسلام من خلال إرجاعٍ وهي لكل ما جاء في هذا الدين إلى التوراة والتراث اليهودي.

---

(1) عباس العقاد، الله في عقائد الشعوب ص 23.

ويتصدر الدكتور موريس بوكاي علماء الغرب في مقارنة الأديان من خلال كتابه التوراة والإنجيل والقرآن والعلم.

وقد تناول العديد من القضايا العلمية والتاريخية وموافقتها أو عدم موافقتها لكتب القرآن والتوراة والإنجيل.

وتناول أسفار كل من التوراة والإنجيل بالتحليل والنقد العلمي التاريخي.

ففي مقارنته بين القرآن الكريم والتوراة يتناول حادثة الطوفان والخروج ويرى أن هناك نصين توراتيين للطوفان تختلف كل منهما عن الأخرى.

فالرواية اليهودية ترجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد والرواية الكهنوتية ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، فيرى أن العهد القديم يعطي للطوفان طابعاً عالمياً على حين لا تعطي المصادر الكهنوتية للطوفان تاريخاً. ويقدم القرآن رواية شاملة مختلفة، لكنه يذكر الطوفان كعقاب لجماعة نوح ﷺ. التوراة تتحدث عن عقاب شامل لكل البشرية بينما يشير القرآن إلى عقوبات عديدة نزلت على جماعات محددة، وعلى ذلك فالقرآن يقدم الطوفان باعتباره عقاباً نزل بشكل خاص على شعب نوح وهذا يشكل الفرق الأساسي بين الروايتين والقرآن لا يحدد زمن الطوفان على عكس التوراة. وتختلف رواية القرآن عن التوراة فيما يتعلق بالذين حملهم نوح في السفينة. ويقارن الدكتور موريس بوكاي بين روايتي القرآن والتوراة فيما يخص مكوث بني إسرائيل في مصر وخروجهم.

ويرد بوكاي على بعض الباحثين القائلين بتجانس روايتي القرآن والتوراة حول رواية الخلق ويرى أن هذا المفهوم خاطئ فهناك اختلافات جذرية، ففيما يتعلق بمسائل ليست ثانوية مطلقاً من وجهة النظر العلمية نكتشف في القرآن دعاوى لا يجدي البحث عن معادل لها في التوراة، كما أن التوراة من ناحية أخرى تحتوي على معالجات تفصيلية لا معادل لها في القرآن[1].

---

(1) موريس بوكاي ـ القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ص 157.

ويقول: أيام الخلق الستة في التوراة تعادل الأيام الستة في القرآن ولكن المشكلة في الواقع أكثر تشابكاً وتستحق وقفة عندها.

ويناقش الدكتور بوكاي الاتفاقات الموجودة بين آيات القرآن الكريم وعلم الفلك فيخلص إلى نتيجة ترى أن القرآن لا يخالف المعطيات العلمية بتاتاً، بينما لا يوجد في التوراة ما يوافق النظريات العلمية، إنما هناك الكثير من النصوص التوراتية تناقض كلياً تلك المعطيات العلمية، وهي أقرب إلى التصور الأسطوري المستفيد من أساطير الشعوب القديمة.

وتناول الدكتور موريس بوكاي الأناجيل بالتحليل والنقد العلمي، فعن إنجيل يوحنا يقول: من هو المؤلف؟ المسألة موضوع نقاش طويل.

ويعلق قائلاً: ودون ذكر الافتراضات الأخرى التي قدمها المفسرون فالملاحظات الصادرة عن أبرز الكتاب المسيحيين والتي أوردناها هنا عن مشكلة مؤلف الإنجيل الرابع تشير هي وحدها إلى أننا مغمورون بالغموض والخلط فيما يتعلق بأبوة هذا الكتاب[1].

ويورد بوكاي الاختلافات بين الأناجيل، وإزاءها يقول: إذن فمن يجب أن نصدق؟ أنصدق متى أم مرقص أم لوقا أم يوحنا؟

ويعلق بوكاي على إنجيل متى من خلال بعض الوقائع والأقوال المنسوبة للمسيح، فعلى سبيل المثال يقول متى في إنجيله إن المسيح طلب إلى حوارييه أن يجتنبوا السامريين، فيقول بوكاي: وذلك مثال جلي بين أمثلة كثيرة على أن المبشرين يضعون على لسان المسيح ما يتناسب مع وجهات نظرهم الشخصية.

مناهج حديثة في مقارنة الأديان

وحين نراجع بعض الكتابات المعاصرة نرى أنها نحت منحى التركيز على دراسة التوراة والتلمود والأناجيل باعتبارها كتباً دخلها التحريف أو هي تتناقض مع المعطيات التاريخية والآثارية والدينية.

---

(1) موريس بوكاي ـ القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ص 93.

وقد أصبح الباحثون العرب في هذا المجال بالعشرات، ويبدو واضحاً بشكل جلي أن هم الكتاب والباحثين نسف مقولات التوراة والإنجيل لأن فيها من الثغرات الكثير.

ويبدو أن اتجاهين متناقضين يسودان الكتابات التي تتناول العهدين القديم والحديث.

اتجاه يتناول العهد القديم فيضعه جميعه في جانب السلب، حتى أن الأنبياء الذين عرفتهم الديانات الثلاث الإسلام والمسيحية واليهودية أمثال موسى وداود وسليمان وإلياس وزكريا ويحيى وُضعوا في زاوية النقد والشتم والحط من قدرهم، لا لسبب إلا لكونهم أنبياء بني إسرائيل وورد ذكرهم في كتاب التوراة.

واتجاه تناول العهد القديم مستنداً على موقف الإسلام الكلي من الأنبياء فجهد هذا الاتجاه لتخليص الأنبياء هؤلاء مما لحق بهم من أذى توراتي وتشويه متعمد.

ولعل الاتجاه الثاني يمتد إلى الوراء مئات السنين حيث وجدنا من يفعل ذلك أمثال ابن حزم الظاهري الأندلسي، وابن القيم الجوزية وغيرهم. وقد أوردنا ما تناوله علماء هذا الاتجاه في صفحات سابقة.

أما الاتجاه الأول فقد وجدنا أن أصحابه يستندون إلى بعد إيديولوجي يريدون من ورائه إقصاء بني إسرائيل وأنبيائهم كلياً عن التأثير في مجريات الأحداث السابقة، بل وإقصائهم عن المنطقة وجعلهم غرباء بالكلية عن عقائد ومجتمعات المنطقة العربية.

وفي جميع الأحوال فإننا نلاحظ عدم وجود منهج نظري لعلم مقارنة الأديان حتى هذه اللحظة، وكل ما اطلعنا عليه يكاد يكون وجهات نظر دفاعية عن وجهات نظر في مواجهة وجهات نظر أخرى.

الفصل الثالث

علم مقارنة الأديان وتداخله مع العلوم الإنسانية

الفصل الثالث

علم مقارنة الأديان
وتداخله مع العلوم الإنسانية

لعل أهم ما يميز علم مقارنة الأديان عن غيره من العلوم الإنسانية تداخُله مع العديد من العلوم الإنسانية المتعددة.

ولعل قلة علماء هذا العلم يعود إلى أن الباحث المتمكن منه لابد أن يكون لديه باع طويل في العلوم الأخرى. وإلا سيفقد كثيراً من المستندات التي تجعل بحثه ناجحاً ليس فيه ثغرات.

ولهذا وجدنا الكثيرين ممن تناولوا بالدراسة كتاب العهد القديم والأناجيل تناسوا أو نسوا التداخل بين النص الديني والبيئة الجغرافية من مناخ ومن بيئة طبيعية من جبال وسهول وصحارى وسواحل. وهذا أيضاً ما أوقعهم في مشكلة عدم معرفة أسس التأثر والتأثير استناداً على الجغرافية الطبيعية. فعندما ندرس أي نص ديني لابد أن نرى البيئة الجغرافية التي برز أو ظهر فيها.

فعلى سبيل المثال: تشير الدراسات إلى أن تدوين التوراة تم بعد النبي موسى وبعد النبي داود والنبي سليمان بمئات السنين. وإن صح السبي البابلي فإن المصادر تشير إلى أن الذي كتب التوراة هو عزرا الكاهن اليهودي الذي كان من زعماء اليهود وهم في السبي البابلي.

وحتى نتأكد من صحة ما كتبه لابد أن نقارن بعض الحيثيات التي دُونت بالبيئة الجغرافية التي أحاطت بالجماعة الإسرائيلية أثناء السبي البابلي فهناك الأنهر: دجلة

والفرات وفروعهما، وهناك المناخ ودرجات الحرارة وهناك المدن والقرى والطرقات وهناك القصور والمعابد والمعابر. وهناك البيئة الجغرافية الحيوانية وما إلى ذلك.

فعندما يصف عزرا بعض المعابد أو القصور أو بعض الطرقات والمدن يستند في وصفه على الكثير مما شاهده عياناً في بابل وما جاورها، لذلك قال بعض العلماء إن الهيكل الذي نسبه إلى سليمان ليس إلا معبداً من معابد بابل رآه عزرا وراح برسم صورته بالكلمات والمفردات.

ويرى بعض علماء النفس أن للبيئة الجغرافية أثراً كبيراً في التأليف والإبداع فمن يكتب في بيئة ساحلية غير الذي يكتب في بيئة جبلية أو صحراوية. وهذا ما ينطبق أيضاً على التراكيب اللغوية والجمل والصور البلاغية وغير ذلك.

وقد قيل إن الكاتب ابن بيئته، وهذا ينطبق على البيئة الجغرافية مثلما ينطبق على البيئة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها. وقد ركز كافة الدارسين في هذا الموضوع على أن البيئة الجغرافية لها الدور الأكبر في صنع الأدب والنص الديني ـ والفكري.

يقول فرانسوا شاتليه: إن تجربة مصر هي أولاً تجربة أرض (الأرض السوداء) المسماة أيضاً المعشوقة أو المشتهاة.

فجاذبية الأضداد، الماء والشمس، الخضرة والقحط بالغة الوضوح، والمصري يولد ويعيش ويموت في إطار وحيد، إطار هذه الواحة الشاسعة التي تلامسها من كل مكان صحراء دائمة الحضور وتستحم في نهر وحيد، والصحراء ليست بعيدة جداً أبداً[1]. ويستمر فرانسوا شاتليه في وصف أرض مصر في أكثر من ثلاث صفحات يورد العديد مما اعتقده المصريون وآمنوا به وبنوا عقائدهم عليه.

فيقول مثلاً: والصور التي تعود في معظم الأحيان لوصف الانتقال من قبل العالم إلى العالم مستعارة من شح النيل عندما تنفصل العناصر من جديد.

---

(1) فرانسوا شاتليه: تاريخ الأيديولوجيات الجزء الأول ص 41 ـ 44، منشورات وزارة الثقافة السورية دمشق ط 1 1997 ترجمة الدكتور أنطون حمصي.

ويقول: إن موقع المعبد المصري محدد تحديداً مضبوطاً بالنسبة للاتجاهين الذين يحددان كل حياة الأرض السوداء، فالواجهة متجهة إلى النيل ومحوره عمودي دائماً[1].

ومن الطبيعي أن البيئة الجغرافية تصنع المفردات الدينية لدى كثير من الشعوب، فالوثنيون في أي بيئة يرمزون إلى آلهتهم بما منحتهم البيئة الجغرافية، فنرى مثلاً شعوب الشرق الأوسط بشكل عام ترتبط بعبادة الشمس والقمر وبعض الكواكب، كون الشمس تظهر دوماً وتمنح الدفء والحرارة للمخلوقات.

بينما نرى في بعض الأساطير وجود رموز لآلهة الثلج أو البراكين في مناطق بيئتها عرفت الثلوج ودوامها أو عرفت البراكين وآثارها.

وهذا ما ينطبق على جميع البيئات الجغرافية اتسعت أو ضاقت، ولعل جميع ما وصلنا من نصوص سومرية أو بابلية أو يونانية دينية تفصح عن بيئة محددة تخص أناساً بعينهم، وليس ذلك إلا انعكاساً للطبيعة الجغرافية أولاً وللعوامل الأخرى ثانياً.

ويتفاعل علم مقارنة الأديان باللغة تفاعلاً كبيراً، فأي نص كتب بلغته الأصلية يحدد العوالم الدينية الأساسية لشعب من الشعوب، وعندما يُترجم هذا النص يفقد كثيراً من ميزاته وأبعاده المعنوية والظلالية.

اليوم لدينا عدة ترجمات للتوراة وفي كل ترجمة مفردات مغايرة للمفردات في النسخة الأخرى.

ويعتقد غالبية اليهود اليوم أن التوراة أُنزلت على النبي موسى باللغة العبرية بينما الدراسات التاريخية واللغوية والآثارية تؤكد أن التوراة لم تنزّل على النبي موسى كلها، ولم تنزل باللغة العبرية، لأن اللغة العبرية في زمن النبي موسى لم تكن قد ظهرت بعد.

---

(1) فرانسوا شاتليه: تاريخ الأيديولوجيات الجزء الأول ص 41 ـ 44، منشورات وزارة الثقافة السورية دمشق ط 1 1997 ترجمة الدكتور أنطون حمصي.

ويرى بعض الباحثين أن التوراة نزلت باللغة المصرية التي يفهمها النبي موسى عليه السلام، أو أنها نزلت بلغة أهل مدين الذين مكث النبي موسى بينهم عشرة أعوام.

فإذا قارنت بين لغة التوراة وبيئة صحراء سيناء وتربية النبي موسى في مصر ومدين أدركت أن التوراة لم تنزل بالعبرية مطلقاً.

ويرى باحثون آخرون أن نصوص التوراة كتبت باللهجة الكنعانية حتى أن بعض الباحثين أطلق عليها التوراة الكنعانية.

ومن المعروف أن علم اللغة ينقسم إلى قسمين علم اللغة الوصفي وعلم أصول اللغات، وتعد اللغة إحدى وسائل الاتصال بين الناس، وهي الوسيلة الأساسية التي يعبر بها عن أحاسيسه وميوله واتجاهاته الفكرية والعقائدية.

ولعل من مهمات علم مقارنة الأديان أن يدرس اللغة التي كتبت بها النصوص الدينية الخاضعة للمقارنة، فهي تسعف الباحث سلفاً قبل أن يدخل المقارنة التطبيقية بين النصوص. وربما استطاع الباحث أن يكتشف من خلال لغة نصٍ ما، زيف تاريخ كتابته وزيف اسم من كتبه إن وُجد له اسم.

وعلى سبيل المثال اللغة التي كُتبت بها الأناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا وبرنابا، فإنجيل متى يحوي مفردات آرامية كنعانية وهي مفردات خاصة بفلسطين. وقد دُون باليونانية، لكن المفردات الآرامية ظلت منتشرة في نصوصه.

بينما إنجيل مرقص يحوي مفردات لاتينية رومانية وهذا ما جعل الدارسين يقولون إنه أُلف في روما، ويقولون إن الكتاب موجه لغير يهود فلسطين لما فيه من اهتمام بشرح العادات اليهودية وترجمة الألفاظ الآرامية والتشديد على أهمية الإنجيل للوثنيين[1].

أما إنجيل لوقا فقد كتبه صاحبه في أنطاكية ودخلت فيه مفردات يونانية كثيرة كونه موجهاً إلى اليونانيين، فيه تعليقات على جغرافية فلسطين لكنّ لوقا الذي

---

(1) العهد الجديد، منشورات دار المشرق، بيروت ص 225 بولس باسيم 1986.

لا يعرف فلسطين أخطأ كثيراً في تسمية المواقع والمدن، ثم علق على العادات اليهودية وشرحها، والمؤلف ينتمي إلى العالم الهلنستي بلغته.

أما إنجيل يوحنا فقد طغت عليه لغة الفلسفة اليونانية حتى إنه بدأ الحديث في إنجيله بأسلوب فلسفي ليس له علاقة بالمسيح، لذلك كانت مفرداته مستقاة من مفردات القاموس الفلسفي اليوناني.

إذاً، فاللغة مهمة جداً لعلم مقارنة الأديان، فإذا تناول باحث الأناجيل وقارن ما فيها يجد أن اللغة تسعفه كثيراً في تحديد ثقافة كل مؤلف من مؤلفي الأناجيل. وتسعفه في معرفة الفروق بينها والبيئة التي كُتبت فيها. ويكتشف الباحث أيضاً من خلال مقارنة النسخ المترجمة ماذا حُذف منها وماذا أضيف عليها.

وحين نقارن بين لغة التوراة العبرانية والتوراة السامرية نرى الفروق واضحة وتصل في حدودها إلى الفروق بينهما فيما يخص الذات الإلهية، وما ينسب لها من أفعال وأقوال هي أقرب إلى التجسيد والتجسيم منها إلى التجريد.

ولا شك أن اللغة التي كتبت على بعض الحجارة والنُصب الدينية في الأزمان الغابرة كشف لنا بعد ترجمتها وفك رموزها عن الحياة الدينية لدى كثير من الشعوب، فمكتشفات رأس شمرا (أوغاريت) وكذلك مدينة إيبلا ومدينة أور وماري وأريحا وغيرها من المكتشفات أوضحت لنا بعد ترجمتها طبيعة الحياة الدينية في هذه الحضارات، ومن ذلك ما يرتبط بالمعابد وبنائها والقرابين والتعاويذ والطقوس التي كانت تُمارس فيها.

ومن المعروف أن الأحرف الهجائية الثمانية والعشرين التي اكتشفت في أوغاريت أوضحت لنا أنها غير الأبجدية، وأنها أول لغة اعتمدت هذه الحروف وصورتها إلى العالم بعد أن كانت اللغة المسمارية سائدة آنذاك، ولا يقل التداخل مع علم الآثار، خاصة بالنسبة للعقائد والأديان التي سادت في عصور متقدمة. فليس هناك حضارة إلا وكان الجانب الديني يأخذ الحيز الأكبر من حياتها وحيويتها وحركتها.

فكثير من الآثار في العراق وسوريا وفلسطين ومصر كشفت لنا عن العبادات والكهنة والمعابد والرموز الأسطورية الدينية، وهناك من الآثار وخاصة النقوش الحجرية تشير إلى التأثر والتأثير بين العقائد والأديان.

وقد رأينا عشرات من هذه النقوش وُجدت في بابل أو الجيزة أشارت إلى بعض العقائد التي اتخذها العبرانيون واليهود واتبعوها.

وهذا ما يُعيدنا إلى مقارنة نصوص التوراة التي دونت في القرن السادس قبل الميلاد بالنصوص البابلية والسومرية، وخاصة فيما يتعلق بالذات الإلهية والقصص الكبرى كقصة الطوفان مثلاً.

وتلعب الآثار دوراً هاماً في تحديد تاريخ بعض العقائد والأديان وبعض الشعوب. ولربما تأتي الآثار لتدحض مزاعم تاريخية يتقول بها بعض من لم يكن لهم حضارة مادية إطلاقاً.

ولعل أكبر شاهد على ذلك ما زعمه اليهود الصهاينة من أن لهم هيكلاً في القدس حيث راحوا بعد احتلال هذه المدينة يفتشون عن هذا الهيكل، وكانت المفاجأة أن الآثار التي وُجدت في الحفريات لا تدل على أي تواجد لهم بالقدس، ولا نستغرب أن يقوم جنود يهود يخدمون في جيوش الحلفاء بسرقة آثار العراق عندما تم غزوه في نيسان 2003، والقصد منها طمس كثير من الحقائق التي تخص اليهودية التوراتية التلمودية.

(والمثير للدهشة أن عدداً من حاخامات اليهود في الكيان الصهيوني قام بإصدار فتوى دينية مع بدء الحرب تنص على أن العراق هو جزء من أرض إسرائيل الكبرى، وطلبت هذه الفتوى من الجنود اليهود في الجيشين الأميركي والبريطاني والذين يربو عددهم على الأربعة آلاف ويشاركون في الحرب على العراق أن يؤدوا صلاة خاصة عندما يقيمون كل خيمة أو بناء في أرض غرب نهر الفرات، وأن يتلو كل جندي يهودي يشاهد بابل صلاة تقول: مبارك أنت ربنا ملك العالم لأنك دمرت بابل المجرمة).

وفي خط مواز وقبل بدء الهجمات الأميركية على العراق ردد الجنرال الأميركي وليام دالاس قائد القوات الأميركية في الكويت كلمات في جنوده ولتحفيزهم على القتال حيث قال: (مثل صوت الرعد الذي يهز الجبال ومثل صوت النار التي تأكل الهشيم ها نحن مستعدون للحرب ستتحرك يا رجال).

وببساطة فإن ما قاله هذا القائد الأميركي لا يعدو كونه ترداداً لما ورد بشكل حرفي في التوراة في سفر يوئيل.

وعلى نفس الصعيد أشارت صحيفة نيويورك تايمز إلى أن جنوداً أمريكيين وليسوا إسرائيليين!! فتشوا مقر الاستخبارات العراقية في بغداد بحثاً عن نسخة قديمة من كتاب التلمود تعود إلى القرن السابع الميلادي، وبينما كان الرئيس الأميركي يهدي شارون خريطة للأراضي المقدسة تعود إلى عام 1678م حيث تشتمل هذه الخريطة على دول المشرق العربي، بلاد الرافدين وبلاد الشام بما فيها طبعاً مدينة بابل.

وقد شهد العراق نشاطاً واسعاً لممثلي الوكالة اليهودية والموساد حيث يعملون تحت إشراف يهود أولمرت وبالتنسيق المباشر مع مركز العمليات المشترك للموساد والسي آي إيه.

وتذكر المصادر أن هذه النشاطات لهذه الوكالة أدت إلى وضع اليد على المكتبة اليهودية القديمة الموضوعة في مبنى المخابرات العراقية والتي تضم تحفاً نادرة من كتب التوراة والتلمود والكابالاه والزوهار المكتوبة على لفائف البردي وجلد الغزلان، ويعود تاريخها إلى فترة السبي البابلي لليهود في الألف الأول قبل الميلاد، وتشير المعطيات إلى أنه تم نقل هذه الكنوز الثمينة إلى الكيان الصهيوني[1].

وقد أوردنا هذه المعلومات لنؤكد أهمية الآثار بالنسبة للعقائد والأديان التي هي مجال بحث علم مقارنة الأديان.

فمع ضياع هذه الآثار أو سرقتها تنطمس معلومات مهمة للباحث، خاصة أن حوار البحث اليوم يركز على البحث في مصادر العقيدة اليهودية والمؤثرات

(1) شبكة المعلومات العربية محيط.

الخارجية فيها، باعتبارها من أكثر العقائد تعقيداً وتزييفاً للحقائق التاريخية والدينية على الإطلاق.

ومن أهم العلوم المتداخلة مع علم مقارنة الأديان الميثولوجيا، وهو ما يرتبط بالأساطير التي تدخل فيها الآلهة الوثنية ورموزها بشكل أساسي.

فالأساطير السومرية أو البابلية أو اليونانية أو الفرعونية تبنى بناءً ميثولوجياً لأن العقل البشري يُراكم معتقداته وملاحمه وقصصه المخارقة فيصنع منها بناءً أدبياً دينياً لا يقتصر على حكاية أو قصة أو حادثة.

وفي هذه الأساطير تظهر أفعال الآلهة وملاحمها بين بعضها بعضاً، وقد تتعدى ذلك إلى قضايا كبرى مثل قضية الخلق الأولى وقضية الطوفان، ومن خلالها يستفيد علم مقارنة الأديان مما صنعه العقل البشري في الاعتقاد بالألوهية، أو اليوم الآخر، أو الموت، أو الخلود وما شابه ذلك.

ويضاف إلى ذلك أن علم مقارنة الأديان يعرف تفاصيل المجمع الإلهي المكوّن من عدة آلهة ويعرف صفات كل إله أو إلهة، ومدى تأثير هذه الصفات في العقائد والديانات الأخرى.

فعلى سبيل المثال عندما اكتشفت نصوص أوغاريت (رأس شمرا) على الساحل السوري وتُرجمت وفُككت نصوصها وجملها تبيّن أن الساحل السوري جميعه من شمال سورية مروراً بلبنان ووصولاً إلى الساحل الفلسطيني، كان لديه مجمع للآلهة يقف على رأسه الإله إيل. وهذا المجمع يضم عدداً من الآلهة ولكل صفاته وسماته واختصاصاته.

ومما يُذكر أن في هذا المجتمع أسماء آلهة ترددت في الميثولوجيا اليونانية كالإله بوسيدون (إله البحار وينسب إلى صيدا وهو بوصيدون) وعشتاروت التي هي عشتار في الميثولوجيا البابلية وحتى الآرامية.

والغريب في هذه الميثولوجيا، أن بعض الباحثين في الأساطير ينسبون الإله إيل إلى سام بن نوح تارة وإلى حام تارة أخرى، وقد وحّده بعضهم بالنبي إبراهيم خليل الله ﷺ، وادّعت جميع شعوب المنطقة العربية نسبتها إلى الإله إيل.

وترى الميثولوجيا الكنعانية أن إيل هو الإله الذي خلق السماوات والأرض وهو غير مرئي لا يجاور الناس بل يتجلى بشكل إلهام أو وحي أو حلم. ولعل مهمة علم مقارنة الأديان تتوسع هنا لتقارن عدة أمور بين أساطير الشعوب وقد يكشف هذا العلم من المؤثر ومن المتأثر من البشر وما هو السابق وما هو اللاحق؟

ومن خلال دراسة التوراة مثلاً وجدنا أن العبرانيين عبدوا آلهة الكنعانيين الفينيقيين الذين سكنوا صيدا، وكذلك عبدوا بعض آلهة البابليين والعمونيين والآراميين وهذا ما ورد في عدة أسفار من التوراة.

وإضافة لذلك فإن الميثولوجيا تفيد علم مقارنة الأديان في الكشف عن قوى الخير والشر كإبليس والملائكة الأخيار وكذلك تفيد في معرفة المعابد والقرابين والطقوس والأعياد الدينية والاحتفالات الموسمية.

(ويبدو أن اتصال العبرانيين بالبابليين والآشوريين والفرس منذ الألف الأولى قبل الميلاد جعلهم يأخذون ويسرقون معتقدات عن السحر والحيوانات الخرافية من تلك الشعوب، خاصة تلك المعتقدات التي تتبدى في رؤى دانيال ومراثي إرميا وحزقيال. وقد أخذوا عن الفرس كل تصوراتهم ومعتقداتهم عن الجن والشياطين بمعالمها وأسمائها الفارسية والمجوسية إلى جانب الثنائية الفارسية في الخير والشر والمتضادات)[1].

ولعل من أهم الأمور التي يدرسها علم مقارنة الأديان الأحداث الكبرى في التاريخ البشري. وهذه الأحداث قد تتشابه فيها بين الميثولوجيا والعقائد أو الأديان الكبرى.

من ذلك مثلاً طوفان نوح عليه السلام، فقد ورد قصة الطوفان في الأسطورة السومرية وكذلك في البابلية وكذلك في بعض الأساطير الهندية.

وهذا جانب مهم في الميل إلى التأكيد على أن الطوفان حدث فعلاً وخاصة بالنسبة للباحثين العلمانيين الذين لا يؤمنون ولا يقرون بنصوص الكتب السماوية وخاصة القرآن الكريم.

---

(1) د. حسن الباش: الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي، دار الجليل دمشق 1986.

وفي هذا الإطار لابد من مقارنة النصوص القديمة بالنصوص الدينية السماوية حتى يدرك الباحث ويتيقّن أن الطوفان كما ورد في القرآن الكريم يتطابق مع معطيات التاريخ والآثار، بل يصحح كثيراً من المفاهيم المغلوطة حول ذلك، ومما لا شك فيه أن علم مقارنة الأديان يختلط كثيراً بعلم التاريخ وتحديداً علم تاريخ الأديان.

وقد درج أكثر الباحثين على تسمية بعض بحوثهم ودراساتهم بأنها مقارنة أديان بينما هي في الحقيقة تتعلق بتاريخ الأديان.

ومن الطبيعي أن تكون إحدى مواد مقارنة الأديان مادة تاريخية إلى حد كبير ولكنها لا تشكل المادة الأساسية لهذا العلم.

إن عالم مقارنة الأديان يحتاج كثيراً إلى المعطيات التاريخية حتى يصل إلى أهدافه في دراسة العقيدة والتشريع كما يراها في نصوصها اليوم.

والحقيقة أن أي باحث في هذا المجال لابد أن يعود إلى دراسة الزمن التاريخي الذي ظهرت فيه عقيدة ما، إضافة لدراسة الظروف التاريخية والاجتماعية وغيرها لكن الباحثين اليوم وقعوا في الخلط بين مقارنة الأديان وتاريخ الأديان وهذا ما نشاهده في غالبية الدراسات التي تعتمد للدراسة والتدريس في بعض الجامعات والكليات العربية والإسلامية.

فتاريخ الأديان تنحصر مهمته في دراسة بروز أي عقيدة في زمن تاريخي محدد وتطورها عبر التاريخ، وما طرأ عليها من تحولات وتغيرات في العقيدة والتشريع دون مقارنة بالعقائد الأخرى.

بينما علم مقارنة الأديان يتجه نحو المقارنة الثنائية أو أكثر بين عقيدتين أو أكثر فيدرس مفاهيم الألوهية والنبوة والموت واليوم الآخر وعالم الغيبيات، وكذلك يقارن بين التشريعات الحياتية كالحلال والحرام والزواج والطلاق والطهارة والعبادات من صوم وصلاة وما إلى ذلك.

فعندما ندرس تاريخ بني إسرائيل على سبيل المثال لا يعني أننا نقوم بدراسة الدين اليهودي مقارناً بالإسلام أو المسيحية أو الزرادشتية. فالتاريخ تاريخ والدين

دين. وقد يختلطان في بعض المحطات ولكنّ لكل علم منهجه وأسسه وآلياته وغاياته.

وإذا نظرنا إلى أهم المقررات في مقارنة الأديان نراها تقترب من تاريخ الأديان وتبتعد عن علم مقارنة الأديان. وهذا ما ينطبق على ما أنتجه الدكتور أحمد شلبي من كتب حول الإسلام واليهودية والمسيحية وديانات الهند الكبرى، وينطبق أيضاً على كتاب الأسفار المقدسة قبل الإسلام للدكتور علي عبد الواحد كافي رحمه الله.

وقد لاحظنا في بعض مناهج الدراسة أن مادةً يُطلق عليها مقارنة أديان ويُقرر لها كتاب ليس فيه من المقارنة شيء، إنما هو فلسفة دين، إذ يدرس الفروق بين الدين وغير الدين وصفات المتدين وغيره وعلاقة الدين بالعقل والنفس وليس هناك أي مبحث يتناول الدين المقارن أو مقارنة الأديان.

وهذا ليس ببعيد عن المنهج التاريخي للأديان فكلاهما يبتعدان عن مقارنة الأديان ويقع الطالب حين دراستهما في إشكاليات كبيرة معقدة تُبعده عن الفهم الصحيح لعلم مقارنة الأديان.

والفلسفة بشكل عام جزء من المعرفة المعمقة وليس خافياً على أحد أن الفلاسفة القدماء استخدموا الفلسفة للوصول إلى حقيقة الذات الإلهية والميتافيزيقا (ما وراء الغيب) بدءاً من أفلاطون وأرسطو وانتهاءً عند الفلاسفة المسلمين أمثال ابن سينا والغزالي وصور المتألهين.

وليس من الغريب أن يتداخل علم مقارنة الأديان مع الفلسفة في جانبها الباحث عن الوجود وما وراءه، فعندما ندرس تطور بعض العقائد نجد أن الجانب الفلسفي يتجلى فيها وفي تطورها، ولا يخفى علينا في هذا الإطار ما كان من دور لتوما الأكويني والقديس أوغسطين في تطوير كثيرٍ من المفاهيم المسيحية، وفي نفس الوقت لا ننسى كم كان دور الأحبار اليهود في تطوير اليهودية كموسى بن ميمون وجميعهم تأثروا بالفلسفة بشكل عام.

وقد رأينا كم للفِرق الإسلامية الكلامية الفلسفية دور في تطور مفاهيم دينية على الرغم من مخالفتها لطريق السنّة، كالمعتزلة ـ والمرجئة والقدرية وغيرهم، ولا يستطيع الباحث أن يغفل ما كان من دور للفلسفة في بعض الفرق الإسلامية التي تأثرت بالتناسخ والتقمص والرجعة وما إلى ذلك من قضايا.

فكل هذه المؤثرات تتجلى في بعض النواحي الدينية التي استُجلبت أو أثرت في كثير من العقائد والتشريعات الدينية.

وفي ذلك نرى مسألة التأثر والتأثير بشكل كبير جداً، ونلمس ذلك مباشرة في النصوص الدينية للعديد من العقائد والديانات، بدءاً من العقائد الوثنية وانتهاءً بالديانات السماوية أو الكتابية، كالإسلام واليهودية والنصرانية والزرادشتية وغيرها من الديانات.

الفصل الرابع

اتجاهات علم مقارنة الأديان النظرية والتطبيقية

الفصل الرابع

اتجاهات علم مقارنة الأديان النظرية والتطبيق

تبرز في هذه الصفحات الموضوعات التي يتناولها علم مقارنة الأديان، وهي كثيرة كثرةَ العقائد والأديان. وحتى يستطيع الباحث الإمساك بكل خيوط هذه الموضوعات لابد من تقسيم واضح لها وذلك حسب أهميتها أو حسب تسلسلها التاريخي والمعرفي. وهي: في العقائد الوثنية: مقارنات بين المجامع الإلهية الوثنية والتي وردت في الأساطير والملاحم، كالآلهة السومرية والبابلية والكنعانية واليونانية والرومانية وغيرها.

في العقائد الكبرى:

منها العقائد السماوية الكتابية، ومنها العقائد الكبرى كعقائد الهند وإيران القديمة والجزيرة العربية.

وأهم الموضوعات التي يتناولها هذا العلم، مفهوم الألوهية، مفهوم الأنبياء والنبوة، مفهوم الموت واليوم الآخر، والعالم الغيبي كالملائكة والشياطين، والكتب المقدسة، وإضافة لهذا فإن هذا العلم يقارن بين العبادات والمعابد، كالصلاة والصيام والأعياد والقرابين، ثم التشريعات التي تخص العلاقة بين الدين والإنسان. كالزواج والطلاق والختان والطهارة والمحرمات من الأكل والمشرب والمحللات من الحيوانات والطيور والخضار والحشرات.

وإذا اتسع البحث فإن علم مقارنة الأديان يدرس بعض الظواهر الدينية في بعض العقائد كالمسيحية، ومنها على سبيل المثال ظاهرة الإله المصلوب والفداء باعتبارها تكررت في عدد من الديانات والعقائد كالهندوسية والبوذية واليونانية

الوثنية القديمة، ومنها أيضاً ظاهرة العذراء التي تحمل وتلد بأمر من الإله دون أن تكون هناك علاقة زوجية بينها وبين أي رجل. ومنها أيضاً دراسة ظاهرة الإله ذي الوجوه الثلاثة أو التي تُسمى الأقانيم ومفردها أقنوم.

وكل ذلك يُوصِلنا إلى دراسة المكونات العقدية لعدد من الديانات والعقائد التي استقت تعاليمها من غيرها أو هي تأثرت تأثراً كلياً بعقائد أخرى سبقتها وكان لها حضور وانتشار على مساحات واسعة من العالم.

العقائد الوثنية دراسة مقارنة

يصعب على الباحث في بحث جزئي أن يورد جميع العقائد الوثنية ويجري دراسة مقارنة عليها.

ولما كان البحث يرتكز على التعريف بعلم مقارنة الأديان ومجالات بحثه فقد آثرنا أن نجري بعض المقارنات كنماذج للدراسة المقارنة بين عقيدة وثنية وأخرى مثلها حتى يتسنى لنا معرفة سبيل المقارنة في أسهل الطرق. لدينا نموذجان من العقائد الوثنية: النموذج الأول العقائد الكنعانية والنموذج الثاني العقائد اليونانية.

وقد اعتبر كثير من الباحثين أن هذا البحث يرتبط بدراسة الأساطير الدينية ومدى علاقتها بالعقائد.

يعود تاريخ الميثولوجيا الكنعانية إلى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد. وقد دلت الكشوفات والنقوش والآثار التي عثر عليها في أريحا ومجدو والقدس وفي صيدا وصور وجبيل ورأس شمرا أن الكنعانيين تواجدوا على الساحل السوري من شمال اللاذقية وحتى مدينة غزة في جنوب الساحل الفلسطيني ويرى الباحثون أنه لا يمكن فصل المنطقة عن نفسها عقائدياً ولغوياً وعرقياً فالأساطير الدينية واحدة لدى هذه المنطقة.

وتؤكد الدراسات التاريخية أن الكنعانيين في هجرتهم الأولى من اليمن إلى بلاد الشام حملوا معهم عقائدهم الأولى. وبعد أن استقروا في الساحل الشامي

طوروا هذه العقائد حتى كادوا يقتربون من عقيدة التوحيد القائلة بوجود إله محتجب خالق السماوات والأرض والناس أجمعين.

وحسب غالبية المصادر فإن الأساطير اليونانية ظهرت بعد الأساطير الكنعانية بمئات السنين وأن هوميروس وغيره عندما دونوا الملاحم اليونانية كانت الأساطير الكنعانية قد بلغت ذروتها.

ولما كان الفاصل جغرافياً بين الساحل الشامي وجميع بلاد اليونان والرومان البحر المتوسط فإن حركة التعامل التجاري والعلمي والديني بين ضفتي المتوسط كانت مستمرة وزاخرة ودائمة التأثر والتأثير.

وهنا لابد أن نشير في المقارنة إلى أسماء الآلهة الوثنية عند الطرفين وتبيان كل ما ينوط بهذه الآلهة من أعمال تخيلها أتباعها وتصوروها، ومن ثم لابد من معرفة شيء ما عن المعابد والطقوس والتشريعات التي سنّها حكماء الطرفين.

ضمت العقائد الوثنية الكنعانية عدداً من أسماء الآلهة وأعمالها وهي: 1 ـ الإله إيل، 2 ـ الإله بعل، 3 ـ عشيرة أو أشيرة، 4 ـ عشتاروق أو عشتار، 5 ـ أشتار أو أثتار، 6 ـ كوثر وحاسيس، 7 ـ يم نهار، 8 ـ موت، 9 ـ سميرنا، 10 ـ بوصيدون، 11 ـ مولك أو ملكوم، 12 ـ أدونيس أو عليون، 13 ـ داجون، 14 ـ عناة، 15 ـ جوبان وأوجار، 16 ـ بدراي، وأرساي وتلّدي، 17 ـ رحمايا، 18 ـ نكال، 19 ـ حاريبي، 20 ـ باريح، 21 ـ ثيتمانات، 23 ـ شيتاقات[1].

وقد وردت هذه الأسماء في المدوّنات الأوغاريتية التي اكتشفت في رأس شمرا وتشمل العقائد اليونانية الأسطورية الإله إيليوس وديونا، كرونس، أبولو، زيوس، أثينا.

فيرى الباحثون أن إيليوس مأخوذ من إيل وأن أفعال عشتار هي نفسها أفعال ديونا.

(1) حسن الباش: الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي ص 80 ـ 81.

مجمع الآلهة اليونانية يقوم في جبل أولمبس، ومجمع الآلهة الكنعانية يقوم على قمة جبل عند مغيب الشمس. ونرى أن الإله بوصيدون هو البحار الصيداوي وبوصيدون هو ابن كنعان وباني مدينة صيدا وأول من جعل البحار مطيّة له[1].

وإذا أدركنا أن تاريخ كتابة الأساطير اليونانية هو القرن الثامن قبل الميلاد أدركنا وعرفنا أن الكنعانيين كتبوا أساطيرهم قبل هذا التاريخ بـ 400 سنة إلى 600 سنة على الأقل وأنهم أثروا بشكل كبير في بناء الأسطورة اليونانية وهذا ما أجمع عليه كثير من الباحثين[2].

وقد حاول الغربيون إضفاء هالة من العظمة على الأسطورة اليونانية واعتبروها معجزة ومفخرة للتاريخ الأسطوري الأوروبي، وقد بين بعض الباحثين العرب ومن خلال الدراسة المقارنة والمعمقة أن لا معجزة في الأسطورة اليونانية لأنها سُرقت أو استفادت بشكل كبير من الأسطورة الكنعانية[3].

وقد عُرف من المؤرخين المؤرخ الكنعاني الفينيقي فيلو الجبيلي الذي يبدو أنه عاش بمدينة جبيل على الساحل اللبناني الشامي، ويقال إنه استعار تاريخه وأساطيره وأعماله النثرية من كاتب كنعاني سابق عليه بنحو أربعمائة سنة يدعى (سنحونتين) وقد كرس فيلو الجبيلي حياته لإثبات أن التراث الأسطوري اليوناني والروماني في معظمه مستمد من سابقه الفينيقي الكنعاني الذي شاركت في إبداعه والطواف به ونشره تلك الشعوب البحرية من فلسطينيين وسوريين ولبنانيين.

ويقول في ذلك: إن اليونان الذين يفضلون سواهم في التمدن والتحضر انتحلوا جميع الأخبار والحكايات الكنعانية ورغبة منهم في أن يخلبوا الألبان بمحاسن الحكايات الخرافية أضافوا عليها بكثرة لا حد لها كل ما أسعفتهم به مخيلتهم ومنهم الشاعر هسيود وبقية الشعراء الجوالين الذين ملؤوا العوالم

(1) الآلآلي نصوص من الكنعانية ـ مفيد عرنوق ـ دار النهار بيروت 1978.

(2) (جرجي كنعان، مفيد عرنوق) يوسف سامي اليوسف، في عدد من المؤلفات.

(3) يوسف سامي اليوسف: معجزة الأسطورة اليونانية.

بخوارقهم وحكاياتهم، فهم الذين أخذوا عن الفينيقيين الكنعانيين علومهم ومعارفهم من الآلهة وحروب الجبابرة وغير ذلك"[1].

نموذج مقارنة عقيدة وثنية بأخرى ذات جذور توحيدية

من المعروف لدى كافة الباحثين أن تدوين التوراة تم في القرن السادس ق.م أي بعد أن تلقى النبي موسى رسالة السماء بـ 700 سنة. ولعل الكتاب الذي أنزل على النبي موسى عليه السلام فُقد تماماً كما أشارت إلى ذلك التوراة المدوّنة نفسها في سفر الملوك.

وقد تراكمت الكتابات والتآليف حتى ظهر كتاب التوراة العبرانية بـ 39 سفراً وأصبحت هذه التوراة اليوم هي الكتاب الأكثر اعتماداً لدى الطوائف اليهودية المعاصرة إضافة لكتاب التلمود.

ولما كان تدوين هذا الكتاب حسب غالبية المصادر قد تم في السبي البابلي فإن مؤثرات كثيرة جداً فعلت فعلها في تدوينه.

وقد شغل الباحثين الكثير من هذه المؤثرات. فبعضهم قال بأن التوراة العبرانية استقت الأحداث وبعض العقائد والعبادات من الأساطير الكنعانية وبعضهم قال إنما استقت من التراث البابلي المليء بالأحداث والعبادات والقوانين، خاصة تلك التي شرعها الملك حمورابي.

وبسبب هذه المقولات كثرت الدراسات المقارنة بين نصوص التوراة والنصوص الكنعانية والبابلية وغيرها.

ولسنا هنا بصدد القول إن كتبة التوراة سطوا على تراث غيرهم وهذا ما أشار له الدكتور أحمد سوسة في كتابه العرب واليهود في التاريخ، والدكتور جرجي كنعان في كتابه وثيقة العهد القديم. إنما ـ ومن خلال علم مقارنة الأديان ـ نتعرف على النصوص التوراتية التي تشير إلى العقائد المأخوذة من الكنعانيين والبابليين.

---

(1) شوقي عبد الحكيم: الفولكلور والأساطير العربية ص 563.

تقول التوراة إن يربعام الأول أول ملك لليهود بعد انقسام مملكة سليمان عليه السلام عام 931 ـ 909ق م أقام عجلين ذهبيين ووضع واحداً في قرية بيت إيل قرب القدس وجعل الآخر في منطقة في شمال فلسطين وراح يذبح العجلين وكانت السامرة وهي قرية قرب مدينة نابلس مركزاً لعبادة الأصنام، ففي عهد آخاب بن عمري وهو ملك يهودي أو سابع ملوك اليهود أقام معبداً للإله بعل الإله الكنعاني وعبده. وقد ورد في القرآن الكريم في سورة الصافات ما يؤكد صحة عبادة اليهود لـ بعل إله الكنعانيين الذين سبقوهم في تواجدهم في فلسطين بمئات السنين.

يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (سورة الصافات الآيات 123 ـ 125).

وقد عاش النبي إلياس في المنطقة الشمالية الغربية من فلسطين وحين عبد اليهود الثور فإنهم قد تأثروا بعبادة رمز من رموز الإله الكنعاني إيل وبالثور عند الفراعنة وعند عرب بلاد الرافدين.

مقارنة بالنصوص: في النص الأصلي المرموز له بـ VAB من لوحات أوغاريت يرد لقب الإله إيل المحتجب وفي سفر إشعياء 45/ 14 يأتي النص القائل حقاً أنت المحتجب يا إله إسرائيل المخلص.

وفي النص نفسه يرد عن بعل أنه يتلذذ بأرزاء البشرية ويحب القتال والعقاب وهو الذي يأمر بالأعاصير، وفي سفر إشعياء يرد (من قبل الرب رب الجنود تفتقد برعدٍ وزلزلة صوت عظيم بزوبعة وعاصف لهيب نار آكلة) وقد استفاد كاتب التوراة من الأسطورة الكنعانية بشكل واضح في قصة صراع إله اليهود (يهوه مع التنين المسمى (ليوثان) قبل الخلق وبعد قتله يصنع الإله الكون والليل والنهار ويركز نظام الفصول ويفجر الينابيع ونرى أن اسم ليوثان يتردد في فقرات أخرى من التوراة.

والواقع أن الأسطورة البابلية تحوي قصة صراع الإله مردوخ مع تنين الصماء المسمى (تعامن) ثم قتله والانتقال لتسيير الكون وخلق الكواكب وغير ذلك ونرى

أيضاً أن الأسطورة الكنعانية تحوي قصة صراع بعل مع التنين لوثان ذي الرؤوس السبعة وقتله والالتفات لخلق الكون[1].

ويرد أيضاً أن وجود اليهود في العراق بعد الاحتلال الفارسي لبابل قد استفاد من الأساطير الفارسية وخاصة فيما يتعلق بإبليس والشياطين والجن والثنائية في العبادة والنار والقرابين وما إلى ذلك.

وقد أجرى العالم والمؤرخ الأميركي جيمس هنري بريستيد مقارنات بين نشيد أخناتون والمزمور 104 من سفر المزامير وخلص إلى نتيجة أن هذا المزمور مأخوذ كلياً من نشيد أخناتون[2].

الحدث التاريخي ومقارنة الأديان

كثيرة هي الأحداث التاريخية التي اعتبرها بعض الباحثين أسطورة أو من صنع المخيلة البشرية ولكن بعض الدراسات المعاصرة أكدت أن هذه الأحداث واقعية جرت في عصور خلت واستندوا في رؤيتهم على مقارنات بين بعض العقائد وبين التراث الذي حفلت به بعض الأمم.

ولعل الطوفان من أهم الأحداث التاريخية التي ورد ذكرها في التوراة والقرآن الكريم وتراث الشعوب الأقدم كالسومريين والبابليين واليونان والهنود وغيرهم وقد يختلف الحدث في الجزئيات لكنه في الكليات يأتي واحداً في عدة مصادر.

فمدونات السومريين تقول: إن الآلهة قررت إفناء البشرية بواسطة طوفان يغمر الأرض إلا أن بعض الآلهة تُظهر عدم رضاها عن ذلك القرار، فآلهة الخصب والحب أنانا تنوح وتبكي مصير البشر المفجع، وهذا إنكي إله الحكمة يخرج عن

---

(1) صموئيل هنري هوك: منعطف المخيلة البشرية، ترجمة: صبحي حديدي، سوريا، اللاذقية، دار الحوار 1984.

(2) جيمس بريستيد: فجر الضمير، ترجمة: سليم حسن، مكتبة مصر رقم الكتاب 108.

إجماع الآلهة ويأخذ على عاتقه بذرة الحياة على الأرض، يتصل إنكي بالملك زيوسودرا، وكان إنساناً تقياً صالحاً فيحدثه من وراء حجاب كاشفاً نوايا الآلهة شارحاً خطته لإنقاذ الحياة والتي تتلخص في قيام زيوسودرا ببناء سفينة كبيرة لحمل الزمرة الصالحة من البشر وبعض الحيوانات.

وتصف لنا المقاطع الموجودة في الألواح السومرية التي عثر عليها في مدينة نفر السومرية السفينة أثناء الطوفان. وتحدثنا عن قيام زيوسودرا بذبح ثور وكبش قرباناً للآلهة على نجاته، وبعد انتهاء الطوفان يُكافأ زيوسودرا على علمه بإعطائه نعمة الخلود وإسكانه في أرض دلمون جنة السومريين[1].

أما مدونات البابليين فقد اكتشفها عالم الآثار الإيطالي جورج سميث عام 1872 وقد توصل إلى حل رموز أحد الألواح الموجودة في مكتبة بانيبال الحاوي على نص عن الطوفان مشابه للنص التوراتي.

وقد أثار هذا الإعلان الكثير من الحماس. وتم الكشف عن ألواح ملحمة جلجامش الاثني عشر والتي تغطي حادثةُ الطوفان معظم اللوح الحادي عشر منه.

ففي نصٍ من هذا اللوح يرد: قوّض بيتك وابنِ سفينة. اهجر ممتلكاتك وانج بنفسك. اترك متاعك وأنقذ حياتك. اعمل على حمل بذرة كل ذي حياة والسفينة التي أنت بانيها ستكون وفقاً لمقاسات مضبوطة فيكون عرضها معادلاً لطولها).

ثم يرد: سأهبط إلى إبسو أعيش مع مولاي أيا. وعلي الآن أن لا أبقى في مدينتكم أما أنتم فسينزل عليكم مطر وافر.

وجاء في النص: وبعد أن أدخلت إليها أهلي وأقاربي جميعاً وطرائد البرية ووحوشها وكل أصحاب الحِرَف عيّن لي الإله شمش وقتاً محدداً وعندما يرسل سيد العاصفة مطراً مدمراً في المساء أدخل الفلك وأغلق عليك بابك. وما إن أزف الموعد

---

(1) فراس السواح: مغامرة العقل الأولى، ص 132.

حتى أرسل سيد العاصفة مطراً مدمراً في المساء، وما إن لاحت تباشير الصباح حتى علت الأفق غيمة كبيرة سوداء يجلجل في وسطها الإله حَدُد[1].

ويتابع: عصفت الريح العاتية يوماً كاملاً أتت على الناس فحصدتهم كما الحرب.

ناحت سيدة الآلهة ذات الصوت العذب. لقد آلت إلى طين تلك الأيام القديمة ذلك بأنني نطقت بالشر في مجمع الآلهة فكيف استطعت أن آمر بمثل هذا الشر؟ كيف استطعت أن آمر بالحرب لتدمير شعبي؟

ستة أيام وست ليالٍ والرياح تهب والعاصفة وسيول المطر تطغى على الأرض. ومع حلول اليوم السابع العاصفة والطوفان خففت من وطأتها وأخذ البحر يهدأ والعاصفة تسكن والطوفان يتوقف.

ويتابع: واستقرت السفينة على جبل نصير. أمسك الجبل بالسفينة ومنعها من الحركة. ومضى اليوم الأول والثاني والجبل ممسك بالسفينة وعندما حل اليوم السابع أتيتُ بحمامة وأطلقتها في السماء لم تجد مستقراً فآبت[2].

ولدى المقارنة بين النص السومري والبابلي من جهة والنص التوراتي من جهة أخرى نجد تشابهاً كبيراً يقع بينهما:

1 ـ إله الطوفان عند كاتبي التوراة هو يهوه وإله الطوفان البابلي إنليل.

2 ـ الغرض من الطوفان في النصين هو تخليص الأرض من الفساد الأخلاقي.

3 ـ بطل الطوفان السومري زيوسودرا وتعني الذي وضع يده على العمر المديد.
وفي الطوفان البابلي أوتنابشتيم ويعني الذي رأى الحياة.
وفي الطوفان التوراتي نوح عليه السلام وهو الذي عمر كثيراً.

4 ـ السفينة هي ماجور في النص السومري وتعني عملاقة، وهي الهيكل العظيم لدى البابليين.

---

(1) حَدُد: إله الآراميين في مدينة دمشق قبل الميلاد.

(2) فراس السواح: مغامرة العقل الأولى، ص 132 ـ 133.

5 ـ ركاب السفينة في النصوص الثلاثة من الإنسان والحيوان وبطل السفينة يحمل أقاربه وأهله.

6 ـ سبب الطوفان مياه الأمطار والمياه السفلية (الينابيع).

7 ـ الإله التوراتي والإلهة السومرية يندمان على تدمير الأرض بالطوفان.

وإذا قارنا هذه النصوص جميعها بالنص القرآني وجدنا الحدث نفسه والشخصية نفسها والوصف نفسه.

ويقع الاختلاف في التالي:

1 ـ نوح يحمل معه من آمنوا ولا يحدد أهُم من أهله أم من غيرهم.

2 ـ الله سبحانه يُجري الطوفان لحكمة إلهية لا يدركها البشر، بينما هو يندم على فعلته في النصوص الأخرى، والله سبحانه منزه عن الندم وغيره لأنها من صفات البشر.

3 ـ تستقر السفينة على جبل الجودي، وليس على جبل نصير أو جبال أراراط.

4 ـ العبرة من الطوفان وقصة النبي نوح هو الدرس البالغ لبني البشر بأن الشرك مآله عقاب الله.

5 ـ الزمن أو الوقت مفتوح في النص القرآني لا يعلمه إلا الله بينما نصوص التوراة والنصوص الأخرى تحدد زمناً أو وقتاً محدداً للطوفان، ومن ثم انحساره.

6 ـ نوح نبي بالنص القرآني وليس هناك شيء من هذه الصفة في النصوص الأخرى.

نستنتج من ذلك أن حدوث الطوفان ورد في أكثر من نص قديم وحديث، وهذا ما يؤكد حدوثه فعلاً وليس هو أسطورة أو خرافة، ونستنتج أن النص القرآني هو أصدق النصوص وأدقها لأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من خلفه أو أمامه، وبما أنه كلام الله سبحانه فليس للنبي محمد ﷺ أي يد في تأليفه كما يزعمون.

بعد أن تعرفنا على نموذجين من نماذج مقارنة الأديان، والأول نموذج تأثير عقيدة وثنية بعقيدة اليهود. والنموذج الثاني دراسة مقارنة لحدث الطوفان بين عقائد وثنية وعقيدة اليهود.

وترقى المقارنة وترتفع وتيرتها عندما نطلع على العقائد الكبرى كاليهودية والنصرانية والزرادشتية وبعض العقائد الهندية كالبرهمية والبوذية ومن ثم الديانة الإسلامية.

فمن المعروف أن اليهود يقولون إن التوراة كتابهم الذي أنزل على موسى والأنبياء. والنصارى يعتمدون أربعة أناجيل ويطردون غيرها من الأناجيل كإنجيل توما وإنجيل برنابا وإنجيل يهودا. والزرادشتية يعتمدون كتاباً يطلقون عليه الأبستاق. وله أسفار وأجزاء، والهنود يدّعون أن لديهم مجموعة من الكتب الدينية يفوق عمر وجودها أكثر من مائة ألف سنة. وأخيراً فإن القرآن الكريم الكتاب التي أُنزل على قلب رسول الله محمد ﷺ. وكان خاتم الكتب. فلم يأت كتاب بعده، لأن رسالة النبي محمد ﷺ جاءت خاتمة الرسالات.

والواقع أن هناك توافقات وهناك اختلافات بين هذه الكتب. منها ما يتعلق بالشخصيات النبوية ومنها ما يتعلق بالأحداث التاريخية ومنها ما يتعلق بالعقائد والتشريعات.

ويطول البحث هنا بحيث يرتبط بالتطبيقات العملية بين هذه العقائد لكننا آثرنا أن نأتي على التطبيقات العملية في فصل مستقل لتكون شاهدة على مجال بحث علم مقارنة الأديان التطبيقي.

وفي هذه العجالة نرى أن هناك منهجين في إجراء المقارنات:

+ **الأول** يعتمده الباحثون المسلمون بحيث يكون القرآن الكريم هو المرجع الأساس وهو المصحح لكل ما جاء في تلك الكتب، وهو الميزان الفصل في المقارنة.

+ **الثاني** ويعتمده باحثون يقولون عن أنفسهم أنهم حياديون ويُرجعون النصوص إلى حكم العقول المستعين بالعلوم الإنسانية كعلم التاريخ وعلم الآثار وعلم الإنسان وعلم الاجتماع وما إلى ذلك من العلوم الإنسانية القديمة والحديثة.

ونعتقد أن اجتماع المنهجين معاً يسهّل عمليات المقارنة أكثر فأكثر.

بادئ ذي بدء علينا أن نعود إلى القول: إن كتاب التوراة دُوّن في منتصف القرن السادس ق م. وهذا ما اتفق عليه كافة الباحثين من عرب وغربيين بمن فيهم الباحثون اليهود أمثال باروخ سبينوزا.

وظهرت الزرادشتية في القرن السادس ق م.

وظهرت البوذية في نفس القرن، أي القرن السادس ق م.

وأُنزل القرآن الكريم بعد المسيح ﷺ بحوالي ستة قرون وبضع سنين.

إذ أن ما بين ولادة المسيح ﷺ وولادة محمد ﷺ هو 570 سنة وأنزل القرآن على قلب رسول الله ﷺ وهو في سن الأربعين بمعنى أنه أنزل سنة 610 بعد الميلاد.

أما الأناجيل الأربعة المعترف عليها من قبل الكنائس المسيحية فقد أُلفت في فترات متباينة، وغالبيتها ظهر فيما بين 70 ـ 80 سنة بعد رفع المسيح ﷺ إلا إنجيل يوحنا فقد ظهر بعد رفع المسيح بـ 113 عاماً.

وإذا اعتمدنا إنجيل برنابا وجدنا أنه يقول إن المسيح ﷺ أملاه عليه وكان برفقته إلى أن رفعه الله إلى السماء.

كيف يمكن أن نقارن بين هذه الكتب؟ وما هي المواضيع التي يمكن مقارنتها:

1 ـ الشخصيات النبوية التي ذكرت في كتابين وأكثر.

2 ـ مفاهيم العقيدة: الذات الإلهية، النبوة، الكتب، اليوم الآخر.

3 ـ الأحداث التاريخية المفصلية المتعلقة بالأنبياء والشخصيات الهامة المؤثرة في مجرى الأحداث.

4 ـ التشريعات كالحلال والحرام، والعقوبات والطهارة والنجاسة والزواج والطلاق وكل ما يتعلق بالتشريعات الأخرى كالمعاملات الداخلية والخارجية.

5 ـ العبادات من صلاة وصوم وحج وزكاة وما إلى ذلك كالقرابين.

6 ـ التأثر والتأثير والمصدر الواحد.

القسم الثاني
في الإطار التطبيقي

الفصل الأول

مفهوم الألوهية
في الديانات الكبرى

الفصل الأول

مفهوم الألوهية في الديانات الكبرى

لاشك أن الدين عند الله الإسلام، وعندما نطلق اسم الديانات على عدد من العقائد السماوية منها فإننا لا نقصد أن هذه العقائد تضاهي الدين الإسلامي بالمفهوم الخاص. إنما نقصد أن الأنبياء الذين ذكروا في التوراة والإنجيل والقرآن كانوا جميعاً على دين الإسلام، فالإسلام هو الدين الجامع لكل رسالات الأنبياء ولا ينحصر هذا الدين بأمة محمد ﷺ.

ولكننا وعلى جري العادة في تسمية بعض العقائد بالأديان فإننا نعترف أننا منساقون وراء مصطلح ـ مقارنة الأديان ـ الذي عُرف اليوم كعلم في شتى أرجاء الأرض مع احتفاظنا برؤيتنا الأولى القائلة بأن الدين عند الله الإسلام.

ولهذا جاء عنوان هذا الفصل على هذه الشاكلة كما سيأتي في اللاحق أكثر من عنوان بهذا المنحى. فنقول: مفهوم النبوة في الديانات الكبرى، ومفهوم الكتب المنزلة في الديانات الكبرى، وكذلك مفهوم اليوم الآخر في الديانات الكبرى، وعلى هذه الشاكلة فإننا سنطرح عدة عناوين حتى يتسنى للقارئ سهولة المعرفة والمقارنة بين العقائد الكبرى التي يطلق عليها علم مقارنة الأديان (الأديان).

مفهوم الألوهية

ومما لا ريب فيه أن مفهوم الألوهية تطور لدى بعض الشعوب من التجسيد والتجسيم إلى الرمز والتجريد. لكننا حين نواجه بالديانات الكبرى كاليهودية والنصرانية والزرادشتية والهندوسية والبوذية والإسلام نرى أن المسألة لا تخضع لمفهوم التطور من التجسيم إلى التجريد.

في العقائد السماوية تتضح صفات الله سبحانه متكاملة واضحة في الكتب التي نزلت على موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام. لكن التأليف الذي حصل للتوراة والإنجيل انحرف عن المفاهيم الأولى التي أنزلت على عيسى وموسى عليهما السلام، لذلك سنرى تصاعداً في مفهوم الألوهية عند اليهود بدءاً من التجسيد والتجسيم والخصوصية إلى التجريد والاحتجاب والعالمية.

وسنرى كيف يؤله المسيحيون عيسى بن مريم ويصبح مع الإله جزءاً متحداً واحداً.

مفهوم الإله في التوراة

من ينظر إلى أسفار التوراة العبرانية يرى الذات الإلهية كمفهوم وحقيقة متطورة متغيرة متبدلة. وقد يستغرب المرء من هذا التغير وعدم الثبات لكن الدارس لتاريخ بني إسرائيل ولطبيعة الحياة الاجتماعية التي عاشوها عبر مئات السنين يدرك أنه ليس غريباً أن يجد هذا التنوع والتغير في مفهوم الألوهية لديهم.

يقول عباس العقاد: (كانت العقائد الإسرائيلية نقطة التحول. لأنها بدأت بتصور الإله على صورة إنسان يأكل ويشرب ويتعب ويستريح ويغار من منافسيه ويخص قبيلته وحدها بالبركة والتشريع، وقرنت هذه الصورة تارة بعبادة الأصنام وتارة بعبادة الموتى أو ظواهر الطبيعة وتماثيل الطواطم في الحيوانات والنبات ثم تطورت صفات الله في اعتقاد أبنائها من أعلى إلى أعلى حتى عبدوا الإله الأحد المنزه عن التجسيد وعن خلائق البشر، القادر على كل شيء والعليم بما كان ويكون والرحيم الذي يحب الرحماء والودعاء والعاملين بالبر والعدل والإحسان)[1].

لكننا نضيف على ما قاله العقاد بأن الإسرائيليين قبل النبي موسى ﷺ لم يكن لديهم ما يتصورونه عن الذات الإلهية سوى ما تعلموه من المصريين، فمن المعروف أن بني إسرائيل مكثوا في مصر بعد النبي يوسف حوالي أربعمائة سنة لم تتحدث التوراة عنها في أي سفر من أسفارها.

---

(1) عباس العقاد: الله في عقائد الشعوب، ص 116، دار المعارف بمصر 1964م.

فنهاية سفر التكوين تتحدث عن موت يوسف وبداية سفر الخروج تتحدث عن موسى، وما بين الاثنين مسافة أربعة قرون لا ندري ما الذي كان عليه فيها بنو إسرائيل.

والذي يدل على أن بني إسرائيل اتبعوا عقائد المصريين وعبدوا آلهتهم ما جاء في سفر الخروج والأسفار الثلاثة التي تليه، وهي اللاويين والعدد والتثنية. جاء في الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج: (ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً. فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من مصر).

وجاء فيه: (زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتهم به. صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر)[1].

وعندما نراقب العلاقة بين الله سبحانه وبين النبي موسى ﷺ نراها تنحصر بينه وبينه ولا يدري بنو إسرائيل سر هذه العلاقة وهذا يتضح من خلال صيغة الخطاب والجواب.

فنرى مثلاً. وقال الرب لموسى: اذهب اصعد من هنا/ خروج 33 ـ 1

ثم قال الرب لموسى: انحت لك لوحين من حجر، خروج 43/ 1

وقال الرب لموسى: اكتب لنفسك هذه الكلمات، خروج 34/ 27

وتتكرر جملة وكلم الرب موسى عشرات المرات بهذا السياق.

---

(1) سفر الخروج الإصحاح 32.

ومن ناحية ثانية: يرد قول التوراة: وكلم الرب موسى قائلاً كلم بني إسرائيل، خروج 25/ 1 وتبدو العلاقة بين بني إسرائيل وبين فهمهم للذات الإلهية مشوشة غامضة وهي على هامش عقليتهم وهذا ما يتضح في عدد من أقوال التوراة مثال:

(وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر) خروج 16/ 2.

وجاء في سفر التثنية: لكنكم لم تشاؤوا أن تصعدوا وعصيتم قول الرب إلهكم وتمرمرتم في خيامكم وقلتم الرب بسبب بغضته لنا قد أخرجنا من أرض مصر ليدفعنا إلى أيدي الأموريين لكي يهلكنا) تثنية 1/ 26 ـ 27.

ويأتي في سفر التثنية: (فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته وقال أحجب وجهي عنهم وأنظر ماذا تكون آخرتهم إنهم جيل متقلب أولاد لا أمانة فيهم).

إذاً فالمفهوم الإلهي لدى نبي مشوش أحياناً غامض. ولا ثقة لشعب إسرائيل بهذا الإله. وبمعنى من المعاني لم تترسخ فكرة التوحيد عندهم، ولهذا سنراهم يتقلبون من صورة إلهية إلى صورة أخرى.

تارة يجسدون الإله لأنهم في مصر لم يعرفوا مفهوم الإله المحتجب غير المحدود فهو يمشي أمامهم في النهار كعمود من سحاب وفي الليل كعمود من نار.

وتارة يريدونه إلهاً خاصاً بهم فيصفونه بأنه إله إسرائيل فحسب.

جاء في سفر الخروج: فسمع يثرون كاهن مديان حمو موسى كل ما صنع الله إلى موسى وإلى إسرائيل شعبه.

وجاء في الخروج أيضاً: أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور) 20/ 2 ـ 5.

وفي التجسيد يقول في الخروج: (فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفاً عند باب الخيمة ويتكلم الرب مع موسى ويقوم كل الشعب يسجدون كل واحد في

باب خيمته ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه) خروج 33/ 10 ـ 11.

وجاء فيه: (منزل الرب في السحاب فوقف عنده هناك) 34/ 5.

وجاء في سفر العدد: (فنزل الرب في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة) 12/ 5.

وجاء في سفر يشوع: (حينئذ بنى يشوع مذبحاً للرب إله إسرائيل في جبل عيبال) 8/ 21.

وفي تطور آخر يصبح إله إسرائيل رب الجنود وهذا على ما يبدو ما اقتضته طبيعة الكتابة والتدوين عن الصراع الذي كان يجري بين بني إسرائيل وغيرهم من الأقوام الساكنة في أرض كنعان.

وفي آخر المطاف يدرك بعض أنبياء التوراة الذين عاصروا السبي البابلي أن الله ليس خاصاً ببني إسرائيل إنما هو إله لكل العالمين والناس وهو إله فيه صفات الرحمة والسلام والمحبة.

(وقد عبد بنو إسرائيل الإله باسم إيل أي القوي باللغة الآرامية ولكن الأسماء العبرية تدل على أنهم قد لبثوا زماناً يصفون الإيل بالصفات البشرية ويقبلون نسبة القرابة الإنسانية إليه كما في اسم عمائيل من العمومة أو إيل أب من الأبوة وغير ذلك من أواصر الأسرة البشرية.

وظلوا إلى ما بعد موسى عليه السلام ينسبون إلى الإله أعمال الإنسان وحركاته فذكروا أنه كان يتمشى في الجنة وأنه كان يصارع ويأكل ويشرب ويغش مركبات الجبال وأنه دفن موسى حينما مات في موآب).

ويلخص عمر لطفي النجار مظاهر الفهم للإله عند بني إسرائيل في عدة أمور أهمها:

1 ـ التجسيم بين الأرض وبين الرب. فالأرض الموعودة هي الأرض المقدسة لأن الرب يسكن فيها (فاستيقظ يعقوب من نومه وقال حقاً إن الرب في هذا المكان

وأنا لم أعلم وخاف وقال ما أرهب هذا المكان ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء) تكوين 38/ 16 ـ 17.

2 ـ ويسكن في جبل صهيون: ومن أجل أن يضمن الكهنة استمرار أرزاقهم وأقواتهم قالوا بأن الله يأكل ويشرب وإبراهيم يرى الله ورجلين معه فعرفهما وعرفه من بينهما. فصنع لهم الطعام فأكلوا. وبيت الرب هو بيت في الحقيقة أمرهم أن يبنوا له فيسكن في وسطهم وقد سئم العيش في السحاب والضباب. وفي سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالساً على كرسي عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل، أشعياء 6: 1.

3 ـ والله محارب عنيد يريد تحرير أرضه المسلوبة وهذا ما زعمه الكهنة فقالوا الرب رجل الحرب. وإذا ما قورن الرب بالملك في بعض الأحيان. فالملك القوي عند اليهود يُنعت بالألوهية.

4 ـ وقالوا إن الندم من صفات الله (ندمت على أني جعلت شاؤل ملكاً) صموئيل 15/ 11 وها هو يقول (فإن نفسي تبكي في أماكن مستترة من أجل الكبرياء وتبكي عيني بكاء وتذرف الدموع لأنه قد سبي قطيع الرب) إرمياء 13: 17.

فالإلحاد عندهم يتمركز في جعل الأغراض والأحوال السياسية معياراً في صناعة الإيمان وبالمحصلة فإن العهد القديم حوى إلهين إله ينتمي إلى التوحيد والتنزيه (كما في أسفار الأنبياء المتأخرين وخاصة في السبي البابلي) وإله ينتمي إلى الأغراض والتجربة[1].

مفهوم الإله في الزرادشتية

من أهم أجزاء الأبستاق كتاب (الجاثا) ومعناها الغناء والإنشاد وهي أكثر الأجزاء قداسة في القصيدة الزرادشتية.

وتظهر صفات الله في سبع عشرة ترنيمة من هذه الجاثا.

---

(1) عمر لطفي النجار: العقل والإلحاد، مكتبة المبتدأ والخبر، دمشق 1997 ط 1.

والله عند زرادشت هو السيد المهيمن الحكيم أهو رامزدا خالق السموات والأرض وهو الأول والآخر ومع ذلك فهو الصديق الذي دعاه في البداية ولا يمكن أن لله علاقة بالشر. فروحه المقدسة هي التي تقيم الحياة وتخلق الرجال والنساء وتعارضه الروح الشريرة أو القوة المدمرة التي تتسم بالنوايا الشريرة والتكبر والكذب. وعلى البشر أن يختاروا بين هاتين القوتين المتعارضتين فإن سلكوا طريق الشر فسوف تمتلئ حياتهم بالأفكار الشريرة والكلمات الشريرة والأعمال الشريرة. وإن سلكوا طريق الحق فسوف يشاركون في العقل والخير ويبلغون الكمال والخلود والورع وملكوت السماوات وكلها جوانب من الطبيعة الإلهية[1].

والتعاليم الشفهية للزرادشتية تعلم الناس أن النسق والنظام والمبدأ والقاعدة وهو ما نراه في السموات والأرض تجعلنا نتعرف على الوجود واللامتناهي للإله القادر على كل شيء كما تجعلنا نؤمن به، فالزرادشتيون يحبون العالم ويؤمنون بأن الحياة تعلمنا أن الله هو الموجود الأعظم والأفضل والأسمى من حيث الفضيلة والاستقامة والخير[2].

وعندهم أن الشر لا يمكن أن يأتي من الخالق. فالله لا يمكن أن يكون مسؤولاً عن الشر. بل الشيطان هو المسؤول عن كل الشرور.

والزرادشتية لا تجسم الإله ولا تجسده فلا تصنع له وثناً أو صنماً.

يقول العقاد: (أنه أنكر الوثنية وجعل الخير المحض من صفات الله ونزل بإله الشر إلى ما دون منزلة المساواة بينه وبين الإله الأعلى. وقال بأن خلق الروح سابق لخلق الجسد وبشر بالثواب والعقاب. ويتضح أن زرادشت حاول جهده أن يقصر الربانية على إله واحد موصوف بأرفع ما يفهمه أبناء زمانه من صفات التنزيه[3].

---

(1) جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، عالم المعرفة 173 الكويت 1993 ص 118 ـ 119.

(2) و (3) عباس العقاد: الله في عقائد الشعوب، ص 93، سبق ذكره.

وتقول الزرادشتية بأن لله صفات وأسماء، فالله واهب الأنعام، والمكين، والكامل، والقدس، والشريف والحكمة، والحكيم، والخبرة، والخبير، والغني والغنَى والسيد والمنعم والطيب، والقهار ومحق الحق والبصر، والشافي، والخلاق، والعليم بكل شيء.

أما بالنسبة للنار فهي أصفى وأطهر العناصر المخلوقة وليست هي الخلّاق المعبود، وترى الزرادشتية أن الله أودع الطبائع عوامل الخير جميعاً فإن هي جادت عن سواء السبيل كان إرسال الرسل للتذكير والتحذير آخر حجة لله على الناس. ورواية الخليقة في مذهب زرادشت أن الله خلق الدنيا في ستة أدوار فبدأ بخلق السماء ثم خلق الماء ثم خلق الأرض، ثم خلق النبات ثم خلق الحيوان ثم خلق الإنسان.

(ويخيل إلينا أن زرادشت كان خليقاً أن يسمو بعقيدة المجوس إلى مقام أعلى من ذلك المقام في التنزيه وأن يسقط بأهرمن (إله الشر) من منزلة الند إلى منزلة المارد المطرود لولا أن وجود أهرمن كان لازماً لبقاء الكهانة الفارسية في عهود المحن والهزائم التي مُنيت بها الدولة وتجرعت فيها الأمة غصص الذل والانكسار. فلو قال الموابذة للمؤمنين: بهرمز إنه هو الإله المنفرد في الكون بالتصريف والتقدير لكفروا بدينهم وحاروا في أمرهم ولكنهم يكبرون من قوة أهرمان ويجعلون انتصاره عقوبة للناس على تركهم للخيرات وحب الشهوات، ثم يبشرونهم بغلبة الإله الحكيم الرحيم بعد الهزيمة فتهدأ وساوسهم إلى حين)[1].

ونستخلص أن تعاليم زرادشت لم تبق على حالها، فمن جاء بعده من الكهنة صرفوا مسار عقيدته فأدخلوا فيها تطوراً واضحاً في قدسية النار، إضافة لما حوته معابدهم من خرافات وطقوس مخالفة لما جاء من تعاليم.

ويكفي هنا أن نقول: إن المقارنة بين الزرادشتية واليهودية تدلنا على أن اليهود جسدوا الإله وشخصوه وجعلوه إلهاً قومياً محدوداً، بينما لم نجد ذلك التجسيد والتجسيم في الزرادشتية.

---

(1) عباس العقاد: الله في عقائد الشعوب، ص 94 ـ 95 سبق ذكره.

مفهوم الألوهية في البرهمية الهندية

لعل من أوسع العقائد وأكثرها تعدداً في الآلهة الديانة البرهمية الهندوسية لكنها في أحد جوانبها تركز على إله واحد هو إله خالق مدبر، ويطلقون عليه براهما يقول عباس العقاد: (لكنهم خلصوا كما خلص غيرهم من هذه العبادات إلى الإيمان بالإله الواحد وإن اختلفوا في المنهج الذي سلكوه، فلم يكن إيمانهم به على الأساس الذي قام عليه إيمان الشعوب الأخرى بالتوحيد.

وقد ذهب حكماؤهم إلى مذهبين غير متفقين، فبعضهم تمثل تلك الحقيقة إلهاً واحداً قريباً من الإله الواحد في أكثر ديانات التوحيد)[1].

ويتسمى الإله عندهم بثلاثة أسماء على حسب فعله في الوجود، فهو براهما حين يكون الموجد الخالق، وهو فشنو حين يكون الواقي الحافظ، وهو سيفا حين يكون المهلك الهادم. وهذه الثلاثية سنعود إليها في صفحات قادمة حين ندرس مسألة التثليث في بعض العقائد وكيف استفادت من بعضها بعضاً في ذلك.

وتداخلت الفلسفة بالعقيدة لدى البرهمية، ويدل على ذلك بعض الأناشيد الموجودة في كتبهم المقدسة:

جاء في إحداها: (حينذاك لم يكن ما وجد أو ما لم يوجد ولم يكن ما تثبته ولا ما تفنيه لا أجواء ولا سماء وراء الأجواء.

وماذا عساها تنطوي عليه؟ أين كانت وأين قرارها؟ أهي هاوية الماء التي ليس لها قرار؟ لم يكن موت فلم يكن خلود. لم يكن ما يموت فلم يكن ما ليس يموت. لم يكن ثمة نهار ولا ليل ولم يكن إلا الأحد يتنفس حيث لا أنفاس ولا شيء سواه. وكان البدء في الظلام. عليم بلا ضياء. ومن البذرة في تلك القشرة قام الأحد بحرارة الحياة. فانتصر الحب حين نبتت البذرة من لباب العقل السرمدي).

وقد برزت فكرة التوحيد عند الهندوس حوالي القرن التاسع قبل الميلاد وقد وصل فكر الكهنة اليهود إلى إبراز هذه النتيجة التي تقرب من التوحيد أو تصل إليه

---

(1) عباس العقاد: الله في عقائد الشعوب، ص 77.

فقد جمعوا الآلهة في إله واحد وقالوا إنه هو الذي أخرج العالم من ذاته وهو الذي يحفظه ثم يهلكه ويرده إليه[1].

وبراهما أو برهما اسم الله في اللغة السنسكريتية وهو عند البراهمة الإله الموجود بذاته لا تدركه الحواس، ويدركه العقل، وهو مصدر الكائنات كلها. لا حدّ له وهو الأصل الأزلي المستقل الذي منه يستمد العالمُ وجوده.

وإضافة للنص الذي أوردناه فإن في أحد الكتب المسمى (قوانين منو) تفصيلات للحديث عن أساس الخلق، ويقول:

اقتضت حكمة برهما الذي لا يدركه إلا العقل أن يبرز من مادته المخلوقات المختلفة، فأوجد الماء أولاً ووضع فيه جرثومة فصارت الجرثومة بيضة لامعة لمعان الذهب، وعاشت داخلها الذات الصلبة على صورة برهما، وهو جدّ جميع الكائنات، فبعد أن لبث برهما في البيضة سنة برهمية وهي تعادل ملايين السنين البشرية قسم المولى بمحض إرادته هذه البيضة قسمين، وصنع منهما السماء والأرض والكائنات، وعين لكل كائن اسمه وخلق عدداً عديداً من الآلهة، وخلق طائفة من الجن غير مرئية، وخلق الزمان وأقسامه والكواكب والأنهار والبحار والجبال[2].

وأهم المبادئ التي تتصل بالعقيدة الهندوسية مبدأ وحدة الوجود: فكل المبادئ الهندوسية وثيقة الصلة ببعضها، وفي فلسفة الهندوسية المسماة (فيدانت) جاء أن هذا الكون كله ليس إلا ظهوراً للوجود الحقيقي الأساسي، وأن الشمس والقمر وجميع جهات العالم وجميع أرواح الموجودات أجزاء ومظاهر لذلك الوجود المحيط المطلق، وأن الحياة كلها أشكال لتلك القوة الوحيدة الأصيلة. وأن الجبال والأنهار تفجّرٌ من ذلك الروح المحيط الذي يستقر في سائر الأشياء، وهذا التفكير هو ما قاله سانكرا Sankara في القرن الثامن الميلادي إذ وضع فلسفة الهندوس في وحدة

---

(1) دكتور إبراهيم مدكور ودكتور يوسف كرم، دروس في تاريخ الفلسفة ص 12.

(2) دائرة معارف القرن العشرين جـ 2 ص 157 ـ 158.

الوجود. وحاول أن يدلل على رفض الازدواج وعلى أن الروح الإنسانية هي جزء من الروح العالية التي تعني براهما Brahaman[1].

وقد أوردت أناشيد الأوبانيشاء: إن جوهر النفس ليس هو الجسم ولا العقل ولا الذات الفردية، ولكنه الوجود العميق الصامت الذي لا صورة له، والكامن في دخيلة أنفسنا واسمه أتمان. أما جوهر العالم الواحد الشامل الذي لا هو بالذكر ولا بالأنثى، أي روح العالم غير المشخص في صفاته والمحتوي لكل شيء والكامن في كل شيء والذي لا تدركه الحواس فاسمه براهما وأتمان، وبراهما حقيقة الحقيقة.

الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً، فمنذ خلق الله سبحانه أول نبي وانتهاءً بخاتم الأنبياء والرسل كان وما يزال مفهوم الألوهية واحداً.

فالله سبحانه هو الواحد الأحد، فهو ليس إله قبيلة ولا إله أمة واحدة ولا إله الناس وحدهم، بل هو إله كل شيء. فهو رب العالمين وكل شيء في الوجود مخلوق له وخاضع لأمره.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (آل عمران 129) ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الصافات 126) وكل مظاهر الكون صادرة عنه ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ (الرعد 2) ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ (الفرقان 48).

وجعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها.

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام 59).

وصفات الله سبحانه لا تُعد ولا تحصى، فهو الخالق وهو المميت، يرسل الأنبياء ليبلغوا رسالاته، وينزل كتبه ليسترشد الناس بها، ويوم القيامة يحاسب الناس على أعمالهم[2].

---

(1) أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى، ص 73.

(2) د. عبد الرحمن نور الدين: رحلة الإنسان مع الأديان من اليهودية إلى الإسلام، 165 ـ 166.

وقد حدد القرآن الكريم مفهوم الربوبية بما أفاض به سبحانه وتعالى من آيات تحقق هذا المعنى على وجه صريح، لا يقبل الغموض أو الشك، فالربوبية تعني المالك والخالق والمدبر، والربوبية المقصودة في القرآن هي أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق والمدبر والمتصرف ولا أحد سواه يتمتع بهذه الصفة، وعنها ينبثق معنى الوحدانية، فمن كان رباً كان واحداً، فالربوبية إذاً تعني انفراد الخالق وحده في الخلق ولا رب سواه[1].

وقد بين فلاسفة المسلمين خصائص الألوهية بالمنظور الفلسفي العقدي الإسلامي فقالوا: إن واجب الوجود غني عن كل ارتباط بغيره، فالله سبحانه غني عن العالمين إذ لو صح ارتباطه بغيره لزال بزوال هذا الارتباط.

وواجب الوجود لذاته بسيط ولا يمكن أن يكون جسماً، فلو كان جسماً لكان مركباً ولكانت له أجزاء تخرجه عن الكل ويكون مرتبطاً بها، والواجب هو كل ما كان وجوده لذاته. وقالوا الواجب الوجود لا يمكن أن يكون عرضاً، ولأنه انتفى أن يكون جسماً فهو لا يمكن أن يكون عرضاً لأن ما كان عرضاً يكون له لون أو شكل.

والواجب الوجود تنتفي عنه صفة التغيير، فالتغيير يفيد التبديل بالزيادة أو النقص سواء في جوهر الشيء أو عرضه، والواجب الوجود لا يكون قابلاً للقسمة، وهي تفيد أن واجب الوجود لا يقبل القسمة فليس له امتداد، لأنه لو قبل القسمة لتغير وجوده الأول وصار إلى وجودات متعددة وهي الأجزاء الحاصلة من القسمة فيكون قبولاً للعدم وهو محال، لهذا يستحيل فيه التعدد لأنه ينافي مفهوم الكلية.

والواجب الوجود قديم أزلي، إذ لو لم يكن كذلك لكان حادثاً، وما كان حادثاً يكون مسبوقاً بالعدم، وما كان مسبوقاً بعدم يحتاج إلى علة تعطيه الوجود، فلو لم يكن الواجب الوجود قديماً لكان محتاجاً إلى موجد يوجده، أي أنه محتاج لغيره وهذا يتنافى مع الواجب الوجود لذاته[2].

---

(1) د. عبد السلام التونجي: العقيدة في القرآن، ص 184 ـ 185.

(2) محمد عبده: رسالة التوحيد، ص 17.

والواجب الوجود لا يطرأ عليه العدم، فلا يسوغ أن يجري عليه العدم إذ لو طرأ عليه العدم للزم سلب صفة الوجود لذاته عنه.

وقد رسخ القرآن الكريم مفاهيم الألوهية بشكل متكامل دقيق، ولو قارنا ذلك بما درجت عليه العقائد الكبرى مثل اليهودية والنصرانية والزرادشتية والهندوسية لوجدنا الفروق واضحة. ففيها التعدد وفيها التجسيد وفيها محدودية الإله واقتصاره على شعب دون شعب.

فالله سبحانه في العقيدة الإسلامية منزه عن التجسيد والتجسيم. وهو خالق كل شيء وهو إله للعالمين كافرهم ومؤمنهم، وطالما هو الخالق للكل فهو المدبر لخلقه واقتضاء العقيدة لصفات واجب الوجود تكمن في الحياة التي هي من كمال وجوده. وتكمن في العلم فالله هو الكاشف والمطلع والعالم بكل شيء. وتكمن أيضاً في الإرادة فهو القوة العقلية الدافعة أو المانعة فمن كان عالماً يكون من مستلزمات علمه أن يكون مريداً ويفعل حسب علمه وإرادته. وتكمن أيضاً في القدرة، ومقتضاها الإيجاد والإعدام وتقوم مع العلم والإرادة. وتكمن في الاختيار وهي مستلزمة بالضرورة بتحقق صفات العلم[1].

مفهوم التثليث في الألوهية

لا شك أن المسيحية بعد أن طُورت وأصبحت تعتقد بالتثليث لم تكن أول عقيدة تبنت التثليث. فقد وُجد هذا المفهوم في عقائد أخرى كالهندوسية وغيرها. والدارس لتاريخ العقائد يدرك أنه ما من عقيدة إلا وبدأت توحيدية، بمعنى أن مفهوم التثليث لم يكن موجوداً في أية عقيدة كبرى، والذي طور هذا المفهوم هم الكهنة والقيّمون على المعابد والمتفلسفون اللاهوتيون.

وقد درج أصحاب التثليث على القول بأن الله واحد في ثلاثة، فمنهم من جعل التثليث يلحق بالقدرة والأفعال، كالهندوسية، ومنهم من قال بأن الله له ثلاثة أقانيم فهو الله الآب والابن والروح القدس في العقيدة المسيحية.

---

(1) عبد السلام التونجي: العقيدة في القرآن الكريم 138 ـ 139 ـ 140 ـ 141.

وعندما نراجع تطور الفكر الديني المسيحي نجد أن فكرة التثليث طرأت على المسيحية بعد القرن الثالث الميلادي، وتحديداً بعد اعتناق الأمبراطور قسطنطين العقيدة المسيحية.

ويؤكد علماء تاريخ الأديان أن كافة الأبحاث الدينية المأخوذة من مصادر شرقية لا تخلو من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثي، أي الآب والابن والروح القدس ويقول العلامة دوان في كتابه سكان أوروبا الأول: كان الوثنيون القدماء يعتقدون بأن الإله واحد ولكنه ذو ثلاثة أقانيم. ويقول: إذا أرجعنا البصر نحو الهند نرى أن أعظم وأشهر عباداتهم اللاهوتية هو التثليث أي القول بأن الإله ذو ثلاثة أقانيم[1].

وتقول التعاليم الهندوسية إن كلمة (تري مورتي) وهي جملة مركبة من كلمتين سنسكريتين أما الأولى (تري) معناها ثلاثة، ومورتي معناها هيئات أو أقانيم وهي براهما وفشنو وسيفا. ثلاثة أقانيم غير منفكين عن الوحدة وهي الرب والمخلص وسيفا ومجموع هذه الأقانيم إله واحد.

ويقولون: لما أراد براهما خالق الوجود الذي لا شكل له ولا تؤثر فيه الصفات أن يخلق الخلق اتخذ صفة الفعل وصار شخصاً ذكراً وهو براهما الخالق، ثم زاد في العمل فانقلب إلى الصفة الثانية من الوجود فكان فشنو الحافظ، ثم انقلب إلى الصفة الثالثة الظلالية فكان سيفا المهلك. ويدعون هذه الصفات الثلاث أيضاً تري مورتي. أي الأقانيم الثلاثة[2].

وجاء في كتب البرهمين المقدسة المعتبرة لديهم أن هذا الثالوث المقدس غير منقسم في الجوهر والفعل والامتزاج ويوضحه بقولهم:

براهما الممثل لمبادئ التكوين والخلق ولا يزال خلاقاً إلهياً هو الآب.

---

(1) دوان: سكان أوروبا الأول، ص 366.

(2) محمد طاهر التنير: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص 32.

وفشنو يمثل مبادئ الحماية والحفظ وهو الابن المنفك والمنقلب عن الحال اللاهوتية.

وسيفا المبدئ والمهلك والمبيد والمعيد. وهو (روح القدس) ويدعونه الرب المخلص كرشنا والروح العظيم حافظ العالم المنبثق، أي المتولد منه.

فشنو الإله الذي ظهر بالناسوت على الأرض ليخلص الناس.

وقد جاء في أحد كتبهم المقدسة ويدعى (الكبيتا) أن كرشنا قال: أنا رب المخلوقات جميعها أنا سر الألف والواو والميم (أوم) أنا براهما وفشنو وسيفا التي هي ثلاثة آلهة إله واحد.

ونجد عند البوذيين ثالوثاً مؤلفاً من تلك الآلهة الثلاثة، فيقولون إن بوذا إله وله أقانيم ثلاثة، يقول العلامة دوان: البوذيون هم أكثر سكان الصين واليابان يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم يسمونه (فو) ويصورونه في هياكلهم بشكل الأصنام التي وجدت في الهند ويقولون.. فو واحد لكنه في ثلاثة أشكال ويقول العلامة دوان: وكان الفرس يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم مثل الهنود تماماً وهم أورمزد، ومترات، وأهرمان. فالأول هو الخالق ومترات هو ابن الله وأهرمان هو المهلك.

وترد في بعض كتب الفرس أقوال منها: الثالوث اللاهوتي مضيء في العالم ورأس هذا الثالوث موناد. ويرى العلماء أن الإله ذا الثلاثة أقانيم وُجد لدى الفنلنديين والإسكندنافيين وسكان سيبرية القدماء وكذلك التتر الوثنيين. وكذلك وجد لدى المكسيكيين عبادة إله ذي ثلاثة أقانيم. وكذلك لدى الهنود الحمر سكان كندا الأصليين الذين كانوا يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم ويصورونه بشكل صنم له ثلاثة رؤوس على جسد واحد ويقولون إنه ذو ثلاثة أشخاص بقلب واحد وإرادة واحدة.

وأخيراً نصل إلى المسيحية التي نادت بالتثليث بعد القرن الثالث الميلادي متأثرة بالفلسفات والعقائد الأخرى كالأفلاطونية الجديدة وغيرها من الفلسفات اللاهوتية.

التثليث في المسيحية:

من المؤكد أن المسيحية لم تكن تعرف التثليث في عهودها الأولى، فالمسيح عليه السلام نادى بالتوحيد وظل تلاميذه الأوائل على نفس النهج إلى أن ظهرت الأناجيل بعد حوالي 70 ـ 113 سنة من رفع المسيح عليه السلام.

ولما كان كتبة الأناجيل لم يعيشوا مع المسيح فقد تناقضت كتاباتهم فيما بينهم عدا عن التناقض الذي حصل داخل كل إنجيل على حدة.

وظل الأمر مختلطاً على الذين اعتنقوا المسيحية، فمنهم من ألّه المسيح ومنهم من رفض هذا التأليه كمكاريوس وبعض الفرق الأخرى.

وما إن حلّ القرن الرابع حتى ظهرت المسيحية كما بشر بها بولس بشكل كبير في روما والأمبراطورية الرومانية. وتبنى قسطنطين هذه العقيدة بعد أن كان وثنياً وشهدت الإمبراطورية تحولاً في عقائدها من الوثنية المفرطة إلى وثنية منظمة ادّعت تارة أن المسيح هو الله وتارة أنه ابن الله.

وتطورت المسيحية الغربية تطوراً مذهلاً حتى بدت عقيدة أخرى تماماً مختلفة عن عقيدة المسيح عليه السلام.

ومن الواضح أن الكتابات التي دوّنت لهذا التحول تأثرت بشكل فاحش بالأساطير اليونانية والرومانية وكذلك بالعقائد الهندوسية والبوذية.

ودخل بولس المسيحية وكان عارفاً بالفلسفة الإغريقية التي تمثلها مدرسة الإسكندرية، ووجد بولس الميدان خالياً، واستخف الغرب بعض المسيحيين لأن بولس عدو المسيحية اللدود قد انتسب إليها وبدأ بولس يضع البذور التي نقل بها المسيحية من الوحدانية إلى التثليث. وقد ظهر ذلك في أعمال الرسل الإصحاح التاسع. ووافقت فكرة التثليث الجماهير. وكانت الجماهير قد نفرت من اليهودية لتعصبها ومن الوثنية لبدائيتها فوجدت في الدين الجديد ملجأ لها وبخاصة أنه أصبح غير بعيد عن معارفهم السابقة التي ألفوها وورثوها عن آبائهم وأجدادهم[1].

---

(1) د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان، المسيحية ص 138.

وبرى الباحث ليون جوتيه أن المسيحية تشربت كثيراً من الآراء الفلسفية اليونانية فاللاهوت المسيحي مقتبس من المعين الذي صبت فيه الأفلاطونية الحديثة لذا نجد بينهما مشابهات كثيرة[1].

وقد كان للاجتماعات التي عقدت بين كبار قساوسة المسيحية الغربية دور مهم وأساسي في تثبيت ما يسمى عقيدة التثليث ولتحديد شكل العقيدة المسيحية.

ولعل أهم تلك الاجتماعات ذلك الذي تم في (نيسيا) في آسيا الصغرى عام 325 أي في زمن قسطنطين، وصدر عنه ما يسمى بالعقد النيسياوي الديني الذي يعتبر حجر الأساس للعقيدة المسيحية.

وأول بنود ذلك العقد يقول: (إننا نؤمن بالإله الواحد ولكن في ثلاثة تواجدات، أولها: الآب القادر على كل شيء صانع السماوات والأرض وكل شيء ظاهر وغير ظاهر.

والبند الثاني يقول: إننا نؤمن بالسيد يسوع المسيح الابن الوحيد لله نَسِلَ من الآب قبل كل العالم إله من إله ونور من نور وإله حق من إله حق، نَسِلَ منه ولم يصنع بوجود واحد مع الآب ولأجلنا نحن البشر ولخلاصنا نزل من السماء وتناسخ في الروح القدس والعذراء مريم وأصبح إنساناً، وصلب من أجلنا تحت حكم بيلاطس البنطي وذاق الموت ودفن وفي اليوم الثالث قام مرة أخرى وصعد إلى السماء وجلس على يمين الآب وسوف يعود مرة أخرى بجلاله ليحكم بين الموتى والأحياء وإن مملكته ليس لها نهاية.

ثم يأتي البند الثالث ليقول: إننا نؤمن بالروح القدس مانح الحياة وسيدها والمستمر دائماً مع الآب والابن وهو معهم يعبد ويعظم وهو الذي تكلم من أفواه الأنبياء جميعاً.

---

(1) ليون جوتيه: المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية ص 93.

وبذلك يكون الآب هو الله الخالق والحافظ للوجود كله ويكون الابن هو الله المخلص للإنسانية، ويكون الروح القدس هو الله المتواجد دائماً في العالم وفي أنفس البشر جميعاً ومعه تأتي الحياة ومنه تأتي الهداية والنور[1].

وعندما يناقش الباحث المدقق أقوال المسيحيين في هذه الثلاثية يدرك أنهم لا يعرفون تماماً ماذا يقولون وماذا يقصدون. لذلك يلف الغموض كلامهم في التثليث وهذا الغموض يدل على أنهم نقلوا هذا التثليث عن غيرهم دون أن يفهموا ما هو ودون أن يعرفوا العلاقة الحقيقية بين الله والابن والروح القدس.

وإذا أجرينا مقارنة ما بين التثليث لدى البوذية والهندوسية والتثليث لدى المسيحية نرى بلا شك أن المسيحية أخذت عن تلك العقائد عقيدة التثليث وقد رأينا قبل صفحات وعند حديثنا عن الهندوسية والبوذية ذلك التثليث الذي يتطابق مع التثليث عند المسيحية.

فبراهما وفشنو وسيفا. تقابل الله والابن والروح القدس

والخصائص التي تخص الآلهة الثلاث عند الهندوسية هي الخصائص التي دوّنها المسيحيون عن الآب والابن والروح القدس.

ويرى الباحثون ـ ومنهم ول ديورانت ـ أن المسيحية انحدرت من أصول مختلفة ويصورون المسيحية ثوباً مهلهلاً تكوّن من مجموعة كبيرة من الرقاع جاءت كل رقعة منها من واد. فبعض المعتقدات انحدر من العقائد الوثنية، وبعضها من العقائد الفارسية، وبعضها من البوذية، وبعضها من الفلسفة الإغريقية، وبعضها من الخرافات التي يدين بها البدائيون[2].

إن التثليث فلسفة دينية لا تناسب البيئة الجغرافية والبيئة الدينية والاجتماعية للمنطقة العربية وخاصة منطقة المشرق العربي الذي انبثقت منه العقيدة التوحيدية

---

(1) د. عبد الرحمن نور الدين: رحلة الإنسان مع الأديان، ص 116 ـ 117.

(2) أحمد شلبي: مقارنة الأديان المسيحية، ص 178.

منذ زمن إبراهيم ومروراً بالأنبياء إسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وحتى أنبياء بني إسرائيل.

وقول بعض الباحثين إن التثليث الوثني وُجد لدى عرب الجاهلية من خلال وجود الصنم هبل وبجانبه اللات والعزى ليس دليلاً على التثليث، لأن كل قبيلة عربية ترى في صنمها أهم الأصنام. وهناك الكثير من أسماء الآلهة الموجودة لدى الجاهليين أمثال: سواع ونسر ويغوث وآساف ونائلة وغيرها من الأسماء. وحتى لو سلمنا أن هبل واللات والعزى تشكل هرم الوثنية الجاهلية فليس من رابط أسطوري بينها، وليس بينها علاقة أبوة أو بنوة في رموزها ومعانيها.

ونعتقد أن فلسفة التثليث الدينية هي فلسفة غربية مستفيدة من البوذية والبرهمية. وقد فرضت هذه العقيدة على أتباع المسيحية في المشرق فرضاً من قبل قسطنطين والرومان. ولو تُرك المسيحيون العرب القدامى يختاروا لاختاروا عقيدة التوحيد التي تناسب البيئة الدينية العربية.

اليوم الآخر في عقائد الشعوب

لاشك أن مسألة الخلق الإلهي تقابلها مسألة الموت والبعث واليوم الآخر وقد تفاوت مفهوم اليوم الآخر من عقيدة لأخرى. فمن العقائد من أنكر اليوم الآخر إنكاراً كلياً، ومنها ما كان مفهوم اليوم الآخر عندها ضبابياً، وقد يطلقون عليه اسم يوم الدينونة. وقد اختلط المفهوم بمفهوم الحساب والجزاء والعقاب. فتفاوتت الرؤية الدينية من عقيدة لأخرى.

وقد آثرنا تقديم هذا البحث على غيره من بحوث المقارنة كونه نتيجة لمفهوم الخلق. فكل مخلوق لابد من موته، والموت ليس نهاية المطاف، ولذلك كانت مسألة البعث واليوم الآخر والحساب.

وما بين الخلق والموت لابد من حديث حول المقارنة في مفهوم النبوة ومفهوم الكتب المقدسة.

وعندما ننظر إلى العقائد نظرة دقيقة نستطيع أن نرى أن بعض هذه العقائد وثنية، لكنها تطرح مفهوم اليوم الآخر بشكل من الأشكال، وهذا يعني أن العقائد السماوية ليست وحدها التي حوت مفهوم اليوم الآخر.

وبالتدقيق والمقارنة الدقيقة نرى أن القرآن الكريم طرح هذا المفهوم ودلل عليه بالحقائق من خلال آيات قرآنية كثيرة. فهو واضح كمفهومٍ وواضح كحقيقة لاشك فيه ولا ريب.

وأمامنا وبين أيدينا عدة عقائد ومنها وثنية نرى أنها تهتم بهذا المفهوم. لكن لتوضيح مسألة الطرح وكذلك الإيمان المطلوب من أتباع هذه العقائد لابد من العودة إلى نصوص هذه العقائد من كتب وأشعار وغيرها حتى نرى حقيقة المفهوم وفهمه وكيفية طرحه.

ويرى الباحثون وعلماء الآثار الذين حللوا اللغة المصرية القديمة أن الفراعنة عرفوا نوعاً من أنواع الفهم لما بعد الموت.

قام اعتقاد فرعوني على أساس فكرة تجدد الحياة في السماء على اعتبار أن الشمس بعد غروبها يمكن أن تشرق من جديد، وفضلاً عن ذلك فإن التجلي الخارجي للروح التي تسمى با Ba ـ كان يتضمن إمكان تحولها إلى أشكال كثيرة بحيث تستطيع أن تغادر قبرها وقتما تشاء.

واعتقد المصريون القدماء بأن كل إنسان بعد الموت سوف يواجه بميزان القلب أمام أوزريس والقضاة الاثنين والأربعين.

ويُظهر نقش أثري الميزان وقد وضع في إحدى كفتيه قلب الميت وفي الكفة الأخرى رمز للإلهة (ماعت) آلهة الحقيقة، فإذا استطاعت فضائله إحداث توازن مع كفة الحقيقة فسوف يصدر الحكم لصالحه بالسعادة الأبدية وإلا فهناك وحش يسمى مُلتهم الموتى يقف منتظراً القضاء على الشخص المدان[1].

---

(1) جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص 58 ـ 59.

وتقول الأسطورة الفرعونية إنه كان ينبغي على كل ميت وهو يلج مملكة الموتى أن يعلن أنه طاهر مبرأ من كل إثم حتى يمكن أن يستقبله الإله العظيم سيد القضاة، وهو أشبه بإعلان المتهم الآن أمام المحكمة أنه غير مذنب حتى يمكن محاكمته[1].

وكانوا يطلقون على الحياة بعد الموت اسم دار الخلود، وغالباً ما كانت ترمز إلى القبر ولعل التحنيط الذي كان يلحق الميت ليس إلا دليلاً على اعتقادهم بأن هذا الجسد يجب أن يبقى ويبقى قلبه في جوفه دون أحشائه.

وتوجب الديانة الزرادشتية الإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور والحساب والجنة والنار على وجه لا يختلف كثيراً في جملته بل لا يختلف كثيراً في تفاصيله نفسها عما يقرره الإسلام.

تقرر عقائد الزرادشتية أن الساعة ستقوم على إثر حادث ملكي وذلك أن كوكباً يصطدم بالأرض فتميد بالناس وتخر الجبال هداً وتذوب العناصر ويصهر النحاس ويسيل إلى جهنم ويفنى (أهرمان) الشيطان وأنصاره من الشياطين ويغسل الناس في منصهر النحاس ويجده الصالحون برداً وسلاماً ثم بعد ذلك يجمع أهورا مازدا الخلائق ويمدهم بحياة جديدة ويجازيهم بأعمالهم. وهذا فيما يتعلق بمن يكونون على قيد الحياة وقت قيام الساعة. أما الذين ماتوا قبل ذلك فتحاسب أرواحهم عقب موتهم مباشرة. وذلك أن الروح تحوم عقب الوفاة فوق الجسد ثلاثة أيام تشقى فيها أو تنعم وفقاً لسيرة صاحبها في الحياة إن خيراً فخير وإن شراً فشر. وفي اليوم الرابع تهب من الجنون على الروح الصالحة ريح طيبة تتضوع بالمسك. وتلتقي روح الميت ـ عند أول الصراط (بل جنوات) أي جسر المفارقة المضروب فوق جهنم ـ بفتاة بيضاء الذراعين منقطعة النظير في جمالها فيسألها من أنت. فتقول أيها الشاب الطيب السريرة الطيب القول الطيب العمل أنا وجدانك وضميرك كنت محبوبة فزدت الناس محبة فيّ وكنت جميلة فزدتني جمالاً ورفعت من شأني بفكرك الصالح وقولك الطيب وعملك المبرور. ثم تمضي

(1) جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، النص من تعليق المترجم د: إمام عبد الفتاح إمام.

الروح بإرشاد هذه الفتاة وهدايتها إلى حضرة أهورامزدا فتعبر الصراط إلى الجنة حيث يستقبلها ملك جالس على كرسي من ذهب عند باب الجنة فيفتح بابها ويقول لصاحبها ادخل سالماً آمناً وتمتع بحياة هنيئة. أما روح الشقي فتلتقي بمخلوق بشع المنظر نتن الرائحة. ولا تستطيع العبور على الصراط فتهوي في دركات النار. وفي جنة زرادشت لا ليل ولا برد ولا مرض[1].

ويرى الزرادشتيون أن الروح بعد أن تعبر صراط الحساب تحتل إحدى منازل ثلاث: منزلة الأشقياء في جهنم دار الجحيم. ومنزلة السعداء في الجنة فردوس النعيم ومنزلة وسطى بين هؤلاء وهؤلاء. فمن ثقلت موازينه ورجحت حسناته سيئاته احتلت روحه المنزلة الثانية (الجنة) ومن خفت موازينه ورجحت سيئاته حسناته ذهبت روحه إلى المنزله الأولى (الجحيم) ومن تساوت حسناته وسيئاته احتلت روحه (المنزلة الثالثة)[2].

ويعتقد البرهميون الهنود في الجنة والنار ولكن في صورة تختلف اختلافاً كبيراً عن عقيدة المسلمين. ويشرح البيروني عقيدة البرهميين في الجنة والنار فيقول:

المجمع يسمى (لوك) والعالم ينقسم قسمة أولية إلى علو وأسفل وواسطة. فيسمى العالم الأعلى (سفرلوك) وهو الجنة. والعالم الأسفل (ناكلوك) أي مجمع الحيّات وهو جهنم ويسمى أيضاً (نرلوك) وربما سموه باتال أي أسفل الأرضين. وأما الأوسط الذي نحن فيه فيسمى مادلوك أو مانش لوك أي مجمع الناس والأوسط للاكتساب والأعلى للثواب والأسفل للعقاب وفي هذين الأخيرين يُستوفَى جزاء العمل من استحقهما مدة مضروبة بحسب مدة العمل. والكون في كل واحدة منها للروح مجردة عن البدن وتتم في ذلك العالم عملية التناسخ إما إلى جنس أعلى إذا كان حسناً وإما إلى جنس أقل إذا كان شريراً[3].

(1) الأسفار المقدسة قبل الإسلام، د: علي عبد الواحد وافي ص 169.

(2) الأسفار المقدسة قبل الإسلام، د: علي عبد الواحد وافي ص 170.

(3) الأسفار المقدسة قبل الإسلام، د: علي عبد الواحد وافي، ص 187.

مفهوم اليوم الآخر لدى اليهودية

إذا نظرنا إلى العقيدة الزرادشتية وجدنا أن معالم اليوم الآخر في أسسها واضحةً. فهناك جنة ونار وحساب وهناك إله يحكم بين الناس.

وعندما نعود بالتاريخ إلى الوراء نرى أن الزرادشتية والبوذية ظهرتا في القرن السادس قبل الميلاد. ونشرتا عقيدتيهما على نطاق واسع من الأرض.

وإذا تذكرنا أن تدوين التوراة قد تم تقريباً في منتصف القرن السادس ميلادي أدركنا أن ثلاث عقائد ظهرت تقريباً مدونة في كتب في قرن واحد، وهذا ما يسهّل علينا عملية مقارنة هذه العقائد ببعضها بعضاً ويسهل بالتالي معرفة ما المؤثر وما المتأثر.

وعندما ننظر إلى عقيدة اليهود الخاصة باليوم الآخر نرى أن مصادر الحديث عنها تتعدد. فهناك التوراة المدوّنة في منتصف القرن السادس. وهناك القرآن الكريم الذي يوضح ما هي عقيدتهم بهذا اليوم الآخر.

وقبل البدء بدراسة هذا الجانب العقيدي لدى اليهود لابد أن نشير إلى أن بعض الفرق اليهودية لا تؤمن باليوم الآخر مطلقاً كفرقة الصدوقيين.

وتعتقد هذه الفرقة أن عقاب العصاة وإثابة المحسنين إنما يحصلان في حياتهم وقد امتلأت صفحات التاريخ اليهودي في القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول بعده بحوادث وخلافات بين الصدوقيين وغيرهم من الفرق اليهودية.

وقد حاولت هذه الفرقة استدراج السيد المسيح عليه السلام حتى يوافقهم على إنكار البعث واليوم الآخر وينضم إليهم ضد الفريسيين ولكنهم أخفقوا في ذلك. وقد جاء في إنجيل متى الإصحاح الثاني والعشرين: (أن الصدوقيين الذين ينكرون القيامة جاؤوا إلى المسيح قائلين له: يا معلم لقد قال موسى إذا مات أحد وليس له أولاد ذكور يتزوج أخوه امرأته لتلد ولداً ينسب إلى أخيه ويخلد ذكره فكان عندنا سبعة أخوة تزوج أولهم ومات بدون أن يولد له ولد ذكر فتزوج أخوه امرأته ولم تنجب ابناً وحدث مثل ذلك لجميع من بقي من الأخوة. فلأي أخ من هؤلاء

الأخوة تكون هذه المرأة يوم القيامة. فقال لهم يسوع: إنكم لتضلون وتجهلون أسفاركم وتشكون في قدرة الله. ألم تعلموا أن الناس في الدار الآخرة لا يزوجون ولا يتزوجون ويعيشون كما تعيش ملائكة الله في السماء).

أما بقية الفرق اليهودية فلها إيمانها الخاص المغلق باليوم الآخر. لكن النصوص التي ترد في التوراة تؤكد لنا غموض مفهوم اليوم الآخر، وهناك من النصوص ما يشير إلى الموت والعدم والتوقف عند ذلك دون الحديث عن اليوم الآخر يوم النشر والحساب والعقاب.

فينسبون للنبي داود قوله في سفر الجامعة: لأن ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة وحادثة واحدة لهم حوت هذه كموت ذاك. فليس للإنسان مزية على البهيمة لأن كليهما باطل يذهب كلاهما إلى مكان واحد. كان كلاهما من التراب وإلى التراب يعود كلاهما. سفر الجامعة 3: 19 ـ 20.

وينسبون له قوله: من يعلم روح بني البشر هل هي تصعد إلى فوق وروح البهيمة هل هي تنزل إلى الأسفل إلى الأرض؟

والغريب أنهم ينسبون للنبي أيوب كلاماً ينفي الإيمان باليوم الآخر.

فجاء في التوراة: (هذا يموت في عين كحاله كلّه مطمئن وساكن. أحواض مملوءة لبنا ومخ عظامه طري. وذلك يموت بنفس مرة ولم يذق خيراً كلاهما يضطجعان معاً في التراب والدود يغشاهما) أيوب 21: 22 ـ 23.

ويقول: (هكذا الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد ولا يرجع) أيوب 7: 9 ـ 10.

ويقول: (أما الرجل فيموت ويبلى. الإنسان يسلم الروح فأين هو؟ قد تنفد المياه من البحيرة والنهر ينشف ويجف. والإنسان يضطجع ولا يقوم ولا يستيقظون حتى لا تبقى السموات ولا ينتبهون من نومهم) 14: 10 ـ 12.

وتظهر بعض النصوص المتأخرة في سفر أشعيا وسفر دانيال تشير إلى مقابلة بين مصيرين يوم البعث.

يرد في إشعيا: (تحيا أمواتك. تقوم الجثث. استيقظوا ترنحوا يا سكان التراب) 26/ 19.

ويرد أيضاً: (وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار والازدراء الأبدي) دانيال 12: 2.

وقد ورد في سفر الجامعة من التوارة ما نُسب إلى النبي داود عليه السلام يشبه إلى حد بعيد في مضمونه مع ما جاء في بعض آيات القرآن الكريم التي تصف اليوم الآخر وقد جاء فيه: (فاذكر خالقك في أيام شبابك، قبل أن تأتي أيام الشر أو تجيء السنون إذ تقول ليس لي فيها سرور. قبل ما تظلم الشمس والنور والقمر والنجوم وترجع السحب بعد المطر. في يوم يتزعزع فيه حفظة البيت وتتلوى رجال القوة وتبطل الطواحين لأنها قلت. وتظلم النواظر من الشبابيك وتغلق الأبواب في السوق. حين ينخفض صوت المطحنة ويقوم لصوت العصفور وتحط كل بنات الغناء. وأيضاً يخافون من العالي وفي الطريق أهوال. واللوز يزهر والجندب يستثقل والشهوة تبطل لأن الإنسان ذاهب إلى بيته الأبدي. والنادبون يطوفون في السوق قبل ما ينفصم حبْل الفضة أو ينسحق كوز الذهب أو تنكسر الجرة على العين أو تنقصف البكرة عند البئر. فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها) جامعة 12: 1 ـ 7.

فهذا المقطع الذي لا شبيه له في التوراة يتقاطع بشكل كبير مع ما ورد في القرآن الكريم وفي كثير من السور والآيات الكريمة بما يخص يوم القيامة.

يقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾﴾ (التكوير 1 ـ 4).

ويقول تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ﴿١٠﴾﴾ (القيامة 7 ـ 10).

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ﴿٤﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴿٥﴾﴾ (الانفطار 4 ـ 5).

ويقول تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ (العاديات 9).

وهناك عشرات الآيات غير التي وردت تأتي في نفس السياق التفصيلي ليوم القيامة ومع تطور العقيدة اليهودية في زمن السبي البابلي نرى وضوحاً أكثر ليوم القيامة فإذا بأنبياء السبي يتحدثون عن هذا اليوم العظيم.

جاء في سفر إشعيا: (هوذا الرب يخلي الأرض ويفرغها ويقلب وجهها ويبدد سكانها) 24: 1 ـ 2. ويقول: (ويكون أن الهارب من صوت الرعب يسقط في الحفرة. والصاعد من وسط الحفرة يؤخذ بالفخ لأن ميازيب من العلاء انفتحت وأسس الأرض تزلزلت. انسحقت الأرض انسحاقاً. تشققت الأرض تشققاً تزعزعت الأرض تزعزعاً ترنحت الأرض ترنحاً كالسكران وتولولت كالعرزال وثقل عليها ذنبها فسقطت ولا تعود تقوم) أشعيا 22: 18 ـ 20.

وقد توسع أحبار اليهود في الحديث عن النعيم والجحيم في كتاب التلمود. لكننا لا نعوّل عليه كونه كتاباً أُلف من قبل البشر.

ويختلط مفهوم اليوم الآخر عند اليهود بمفاهيم خاصة بهم. فيدّعون أنه لن يدخل الجنة إلا اليهود وبقية الناس إلى الجحيم. وقد ذكر القرآن الكريم ذلك بقوله: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ (البقرة 111).

اليوم الآخر في العقيدة النصرانية

يطلق المسيحيون على يوم القيامة اسم يوم الدينونة. ومعناه يوم يدين المسيح الكفار ويفضح أعمالهم التي تودي بهم إلى الجحيم. أما المؤمنون حسب معتقداتهم فإنهم يدخلون النعيم.

ويربط المسيحيون يوم القيامة بقيامة المسيح حسبما يعتقدون وقد وردت قيامة المسيح في إنجيل متى الإصحاح 28 من 5 ـ 8 وجاءت أيضاً في إنجيل مرقص الإصحاح السادس عشر وفي إنجيل لوقا الإصحاح الرابع عشر وفي يوحنا في الإصحاح العشرين.

ويورد قاموس الكتاب المقدس تعريفاً ليوم القيامة إذ يقول:

لقد علم المسيح بوضوح بأن الموتى سيقومون ولقد نقض حجة الصدوقيين أنه بعد القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون وأنه لا يكون بعدها موت جسدي. وكثيراً ما نرى تعليم المسيح عن القيامة العامة مرتبطاً بتعليمه عن الدينونة النهائية. وقد علم الرسل أيضاً عن القيامة العامة التي يقوم فيها الأبرار والخطاة عند الدينونة الأخيرة.

ويصف الكتاب المقدس أجساد المؤمنين في القيامة بأنها تكون في (عدم فناء) وفي مجد وقوة وبأنها ستتغير إلى شبه جسد المسيح المجيد[1].

وقد جاء في التعليم المسيحي ذكر نزول المسيح إلى الجحيم وأنه في اليوم الثاني قام من بين الأموات. وقال كليموندس الإسكندري في أوائل الجيل الثالث بعد المسيح قد بشر يسوع في الإنجيل أهل الجحيم كما بشر به وعلمه لأهل الأرض كي يؤمنوا به ويخلصوا أينما كانوا.

وقد ذكروا: نزول المسيح إلى الجحيم وذكروا الحديث الذي دار بينه وبين رئيس الشياطين.

لكن يبدو أن الغموض يلف مفهوم الجحيم في الأناجيل وفي العقيدة النصرانية بشكل عام.

ويتصور الفكر الديني أن المسيح يأتي يوم الدينونة ويبصره الناس آتياً في سحاب بقوة كثيرة ومجد. إنجيل مرقص إصحاح 13 عدد 26.

اليوم الآخر في العقيدة الإسلامية

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم يحفل بمشاهد من الموت والبعث ويوم القيامة، وهي مشاهد كثيرة جداً خاصة المتعلق منها بيوم القيامة والحساب. ومن ثم الجحيم والنعيم.

---

(1) قاموس الكتاب المقدس ص 750 باب القاف.

فالموت حتمي. وكل إنسان ميت. والله سبحانه يحيي ويميت. ثم يبعث الناس جميعاً يوم الحساب. فمن كان مؤمناً فمصيره الجنة ومن كان كافراً فمصيره النار. وقد وصفت آيات القرآن الكريم مشاهد جمّة ليوم القيامة.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ (الحج 2).

ويقول تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ (الحج 7).

ويقول تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ (الزلزلة 1 ـ 6).

ويقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ ﴾ (الإنشقاق 1 ـ 5).

ويقول تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ﴾ (القارعة 1 ـ 5).

وكثيرة هي الآيات المشابهة التي تصف أهوال القيامة في القرآن الكريم.

ويوم القيامة يحشر الناس إلى رب العالمين ويُحاسبون فمن عمل خيراً فجزاؤه الجنة ومن عمل شراً فجزاؤه النار.

وهناك عشرات الآيات التي تصف النعيم والجحيم بما يقربها إلى العقل البشري واستيعابها في الحياة الدنيا قبل الموت.

وإذا قارنا بين الإسلام واليهودية والنصرانية بما يخص اليوم الآخر وجدنا الفارق الكبير بينها. ففي العقيدتين اليهودية والنصرانية غموض كبير حول هذا اليوم بينما هو واضح في القرآن الكريم بشكل جلي لا لبس فيه.

وإذا أردنا أن نجري التطبيقات فما علينا إلا أن نضع النصوص بمقابل بعضها لندرك كم هي الفروق بين الإسلام من جهة والعقائد الأخرى من جهة أخرى. وخاصة فيما يتعلق باليوم الآخر والجزاء والعقاب والجنة والجحيم.

الفصل الثاني

مقاييس التأثر والتأثير بين العقائد

مقاييس البشري والإلهي في التوراة والأناجيل

الفصل الثاني

مقاييس التأثر والتأثير بين العقائد
مقاييس البشري والإلهي في التوراة والأناجيل

يرى الكثير من الباحثين أن العقائد تتأثر ببعضها. وبعضهم يضع قاعدة لذلك حيث يقول إن اللاحق يأخذ من السابق ويتأثر به.

لكن المقاييس تتنوع وتتعدد، فما يجري على الأدب والثقافة قد لا يجري على العقائد وخاصة العقائد السماوية الكتابية، فليس شرطاً أن يكون اللاحق متأثراً بالسابق.

غير أن ذلك في علم مقارنة الأديان لا يوقف القول بالتأثر والتأثير. وهناك المقاييس العديدة التي لا تنحصر في مسألة السابق واللاحق، فهناك قواعد لابد من التنبه لها وإدراجها في بنود:

1 ـ مقياس السابق واللاحق.

2 ـ مقياس المواضيع المرتبطة بالعقيدة، كالإيمان بالله الواحد، والإيمان بالكتب المقدسة والملائكة والأنبياء واليوم الآخر.

3 ـ مقياس التشريعات الدينية، كالزواج والطلاق والطهارة والنجاسة والحلال والحرام والتجارة والربا والمعاملات المالية بين الناس والعقوبات الخ.

4 ـ مقياس التاريخ والجغرافيا، فالأحداث والأماكن قد يُستفاد منها من عقيدة لأخرى. كبناء المعابد في أماكن محددة وإقامة الطقوس في مواسم محددة.

5 ـ مقياس العبادات، كالصلاة والصوم والزكاة والحج، حركاتها ومواسمها وطرق تنفيذها وما يقال فيها وأوقاتها.

6 ـ مقياس العلم والعقل والمنطق إذا تعذرت المقاييس الأخرى، فما يوافق العقل قد يؤخذ به وما لا يوافق العقل والعلم قد يُترك ولا يؤخذ به.

7 ـ المقياس اللغوي، فقد ترد عشرات المفردات في كتابين لعقيدتين مختلفتين فتكون أحدَ الأدلة على التأثر والتأثير وما ينطبق على المفردات قد ينطبق على التراكيب والجمل وأساليب الكتابة كالتقديم والتأخير والصورة والمجاز وما إلى ذلك.

وفي الواقع فإن أحد أهم المقاييس التي لا يعترف بها الباحثون العلمانيون هو مقياس المصدر السماوي للكتب المنزلة على الأنبياء، وباستطاعتنا أن نجعل هذا المقياس في أوليات الدراسة التطبيقية ما بين الإسلام واليهودية والمسيحية، لأن القرآن الكريم يشير إلى التوراة والإنجيل بأنهما أُنزلا على الأنبياء الذين بعثهم الله لبني إسرائيل وفي هذا المقياس لا مكان لمسألة السابق واللاحق، لأن مصدر هذه الكتب واحد في أساسه هو الله سبحانه وتعالى.

المقياس الأول: السابق واللاحق

أجمع عدد من الباحثين على أن الأديان والعقائد تستفيد من بعضها فتؤثر وتتأثر، خاصة إذا كانت من مناطق متجاورة جغرافياً ومتقاربة تاريخياً. ولما كانت المنطقة العربية قد غصت بالعقائد والأديان فقد كانت مجال بحث لدى الباحثين دون أن يتعدوها إلى مناطق أخرى.

ومن الملاحظ أن بعض العقائد استعارت من غيرها قضايا عقيدية وتشريعية وجدتها مناسبة لها من حيث وجودها النفسي ووجودها الجغرافي وحتى وجودها الديني. ومن المفيد أن نرى بعض تلك العقائد قد وجدت عند غيرها ما هو أفضل وأقرب إلى الكمال مما هي عليه، لذلك لجأت إلى الأخذ العشوائي أحياناً والأخذ المنظم أحياناً أخرى. وحتى لا نقع في مطب هذا المقياس كان لا بد من ملاحظة الأمور التالية:

1 ـ العقائد والأديان بشكل كلي، إما سابقة أو لاحقة وليس بالضرورة أن يأخذ كل لاحق من كل سابق.

2 ـ المقياس الصحيح في هذا هو مقارنة النصوص اللاحقة بالسابقة فإذا ما تتطابقت نميل إلى القول بأن اللاحق قد أخذ من السابق.

3 ـ التقارب الجغرافي مهم جداً في عملية التأثر والتأثير والأخذ وعدم الأخذ، فإذا ما تجاورت ثقافتان دينيتان جغرافياً فإن احتمالات الأخذ تصبح أكثر قبولاً وأكثر واقعية مما لو كانتا متباعدتين.

4 ـ ويرتبط بذلك النقص والتكامل. خاصة في العقائد غير الراسخة وغير المركزة والمستقرة. فالعقائد الناقصة تأخذ من غيرها المتكاملة وخاصة في المفاهيم العقيدية الكبرى وبعض التشريعات.

5 ـ ويرتبط بذلك أيضاً استخدام القوة المسلحة في فرض عقيدة على أخرى ومع مرور الزمن تصبح العقيدة الثانية ذائبة في العقيدة الأولى.

6 ـ يلعب العامل التاريخي دوره في عملية الأخذ وعدمه. فإذا ما تقارب التاريخ أصبح التأثر والتأثير أكثر قبولاً وإذا ما تباعد يقل التأثر والتأثير وقد يتلاشى.

فهذه الملاحظات لابد أن تؤخذ بعين الاعتبار في عملية مقارنة العقائد والأديان حتى لا يكون الحكم على العقائد والمؤثرات فيها عشوائياً ظالماً. وقد وقع في هذا عدد من الباحثين خاصة هؤلاء الذين تناولوا التوراة والعقائد العبرانية بالدراسة.

تواريخ ظهور العقائد والأديان:

بالنسبة للأديان الكتابية أو السماوية:

1 ـ ظهرت الديانة الموسوية بعد نزول الكتاب على النبي موسى عليه السلام وقد تم ذلك بعد خروج بني إسرائيل إلى سيناء بمدة. وتعتبر العقيدة الموسوية أول عقيدة كتابية أو سماوية بين العقائد الثلاث، الموسوية والنصرانية والإسلام، وقد أشار القرآن الكريم إلى كتاب موسى عليه السلام وحسب التقديرات العديدة فإن الموسوية ظهرت قبل ميلاد المسيح بحوالي 1200 عام.

2 ـ ظهرت عقيدة النصرانية قبل الإسلام بحوالي ستة قرون، وقد أشار القرآن إلى الإنجيل الذي أنزله الله سبحانه على المسيح ابن مريم عليه السلام.

3 ـ ظهر الإسلام بعد النصرانية بحوالي ستة قرون، وقد مضى على ظهور الإسلام أربعة عشر قرناً ونصف القرن.

4 ـ ظهرت العقيدة الزرادشتية قبل الميلاد بستة قرون وانتشرت في بلاد إيران وبعض أجزاء آسيا الوسطى، وكتاب الزرادشتية هو الأبستاق والذي يعني الأساس والأصل، أو المتن أو المسند، وهو تعريب الأفستا. ويشمل على واحد وعشرين سفراً. وفقدت معظم أجزائه عند غزو الإسكندر لفارس عام 330ق.م.

5 ـ العقيدة البرهمية ويرجعها بعضهم إلى القرن الخامس عشر ق.م وكتابها الأشهر الفيدا ومعناه المعرفة أو العلم، ويدين بها معظم سكان الهند.

6 ـ ظهرت البوذية قبل الميلاد بخمسة قرون، وقد أقام هذه العقيدة (جوتاما) ويدين بها الكثيرون في الهند وجنوب آسيا وشرقها كالصين واليابان وغيرهما.

7 ـ وانتشرت العقائد الوثنية على مساحات واسعة من العالم في تواريخ متباعدة. فوجدت في اليونان والرومان وفي أفريقيا والجزيرة العربية، وفي بابل وعند الكنعانيين والآراميين وحضارات اليمن القديمة.. الخ.

نستخلص مما تقدم أن الزرادشتية والبوذية ظهرتا في قرن واحد تقريباً.

ونستخلص أيضاً أن هذه العقائد حسب الترتيب التاريخي هي:

1 ـ الهندوسية 1500ق.م

2 ـ الموسوية 1200 ق.م

3 ـ الزرادشتية 580 ق.م

4 ـ البوذية 525 ق.م

5 ـ النصرانية

6 ـ الإسلام600 ب.م

الهندوسية انتشرت في الهند، الموسوية في سيناء، الزرادشتية في إيران، البوذية في الهند وآسيا، النصرانية في المنطقة العربية، الإسلام في المنطقة العربية أولاً.

إذا كانت الهندوسية هي الأقدم فهل أثرت في غيرها مما جاء بعدها من عقائد؟

هل نجد تأثيرات للهندوسبة في العقيدة اليهودية التي تطورت وانحرفت بعد النبي موسى عليه السلام؟

جغرافياً، من الصعب القول إن الهندوسية أثرت في الموسوية أو اليهودية خاصة إذا قارنا النصوص ببعضها، وعرفنا مسار كل عقيدة ومسار تشريعاتها.

وإذا درسنا الموسوية ومن ثم ما حصل عليها من تغيير نرى أنها الأقدم من بين الديانات السماوية. ولكن تجدر الملاحظة أن تدوين كتاب الموسوية الذي اشتمل حسب رأي اليهود على كتاب موسى عليه السلام والأسفار الأخرى التي نزلت على أنبياء بني إسرائيل وكذلك أسفار التاريخ والشعر قد تم أيام السبي البابلي الذي حصل ما بين 570 ـ 550 ق.م.

فإذا درسنا هذه الأسفار تاريخياً وعقيدياً وتشريعياً نرى تقاطعات كثيرة بينها وبين بعض العقائد الوثنية التي كانت سائدة في بلاد ما بين النهرين وسوريا الكبرى كعقائد البابليين والآراميين والكنعانيين وغيرهم.

وفي نفس الوقت يجب أن نلاحظ أن تدوين التوراة التي تم في العراق المجاورة لإيران حصل في منتصف القرن السادس ق.م أي القرن الذي شهد انتشار الزرادشتية في إيران والبوذية في بعض مناطق الهند، وعندما نتذكر أن الفرس قضوا على الدولة البابلية في نفس الوقت الذي كان فيه اليهود موجودين في بابل والعراق وقد تعاونوا مع الفرس الزرادشتيين للقضاء على الدولة البابلية ندرك أن هناك مجالاً للدراسة المقارنة بين اليهودية من جهة والبابلية والفارسية والزرادشتية من جهة أخرى. ولا ننسى في نفس الوقت تأثيرات البوذية والزرادشتية ببعضها بعضاً بسبب الجوار الجغرافي بين إيران وشمال الهند، وبسبب التاريخ الواحد لانتشارهما.

ويجدر بنا أن نقول: إن التشابه ما بين القرآن الكريم وبين كتاب موسى عليه السلام وإنجيل عيسى عليه السلام كما أنزلا عليهما ليس مرده التأثر والتأثير ومسألة السابق واللاحق، إنما تعود المسألة إلى كون الكتب الثلاثة نبعت من مصدر سماوي واحد. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الكتب باعتبارها منزلة من الله سبحانه وتعالى،

وشرائعها تكمل بعضها بعضاً ولا تناقض بينها، خاصة في عقيدة التوحيد والإيمان بالله الواحد وبالأنبياء والكتب واليوم الآخر، وكذلك في الأسس الخاصة بالتشريعات والمعاملات والعبادات.

الفداء والصلب

من الموضوعات الشائكة التي تحتاج لدراسة مقارنة بين العقائد موضوع صلب الإله وتضحيته بنفسه تكفيراً عن خطايا البشر.

وقد اعتمدنا هذه العقيدة للدراسة المقارنة بسبب كثرتها وشيوعها في عدد كبير من العقائد الوثنية، فقد وجدت هذه العقيدة عند:

1 ـ الصينيين، 2 ـ المصريين، 3 ـ الفريجيين، 4 ـ السوريين، 5 ـ اليونان، 6 ـ الرومان، 7 ـ عند الفرس، 8 ـ المكسيكيين، الهنود.

ونعتقد أن كافة الأقوام والأمم التي عرفت موضوع الصلب كانت أقدم تاريخياً من المسيحية التي آمنت بصلب المسيح.

وعندما ندرس تعاليم المسيح وما أنزل عليه وما قاله نجده لا يقول بمسألة الصلب ولا بمسألة الفداء المرتبطة بها إلاّ ما دوّنه المسيحيون المتأخرون من أناجيل أُلفت بعد المسيح بعشرات السنين، وهذا لم يأت على الحقيقة إنما جاء تأليفاً وتخيلاً وتأثراً بالعقائد الوثنية السابقة.

ولعل من المعروف أن بولس الذي أبدع العقيدة المسيحية الوثنية كان مطلعاً بشكل كبير على تراث اليونان والرومان والفلسفات القديمة الأخرى.

ومنذ صغره كان قد تعلم اليونانية في مدينة طرسوس واطلع على عقائد اليونانيين (وعكف الفتى شاؤل على قراءة الكتب اليونانية فعرف الشيء الكثير عن الآلهة التي عبدها أهل طرسوس وأشهرها الإله زيوس والإله ساندون. ووقعت أبصار الفتى على تماثيل إمبراطورية رومية منصوبة في هياكل طرسوس)[1].

---

(1) حبيب سعد: سيرة بولس الرسول ص 5.

على كل حال فإن عودتنا لتراث الشعوب الديني يدلنا على مدى اتساع هذه الظاهرة ظاهرة الفداء والصلب.

يقول العلامة دوان في كتابه خرافات التوارة: وكان الفداء بواسطة التألم والموت لمخلص إلهي قديم العهد جداً عند الصينيين وأن أحد كتبهم المقدسة المدعو (بيكيتك) يقول عن (تيان) إنه القدوس الواحد ذو الفضائل السماوية والأرضية وإنه سيعيد الكون إلى البر وإنه يعمل ويتألم كثيراً ولابد له من اجتياز تيار عظيم تدخل أمواجه إلى نفسه وإنه الوحيد القادر على أن يقدم للرب ذبيحة تليق به فالناس يقدمون أنفسهم ذبيحة من أجل اكتساب قوتهم والفلاسفة لاكتساب جاه وشهرة والأمراء لتثبيت عياهم. أما القدوس تيان فلأجل الناس يموت ليخلص الطالح ويقولون عنه أيضاً إنه واحد مع الله منذ الأزل قبل كل شيء)[1].

أما المصريون فإنهم يحترمون أوزريس ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة. ويقول دوان نقلاً عن ولكنسون: (إن تألم وموت أوزريس هما السر العظيم في ديانة المصريين).

أما الفريجيون وهم سكان آسيا الصغرى فإنهم كانوا يدعون أن هورس هو المخلص والفادي ويقولون: (إن جنود الكلدانيين قتلوه وسمروه كي يزداد تألماً وأنه صلب لأجل خلاصهم)[2]. وكان السوريون القدماء يقولون إن تموز الإله المولود البكر من عذراء تألم من أجل الناس ويدعونه المخلص والفادي والمصلوب.

وأما اليونان فإنهم كانوا يدعون بروميثيوس مخلصاً كما يدعونه الإله الحي صديق البشر المقدم نفسه ذبيحة لخلاص الناس.

والرومان كانوا يدعون باخوس ابن المشتري من العذراء المخلص الابن الوحيد الذبيح حامل الخطايا الفادي وكانوا يقولون: (لما كثر الشر في الأرض طلب

---

(1) دوان: خرافات التوراة ص 181 ـ 182.

(2) المرجع السابق 190.

بندورا وتوسل إلى المشتري سيد الآلهة كي يأتي ويخلص الناس من الآثام والخطايا. فاستجاب المشتري لهم وجعل ابنه مخلصاً للمذنبين في العالم).

وكذلك فإن الفرس يعتقدون بأن متراهو الوسيط بين الله والناس والمخلص الذي بتألمه خلص الناس ففداهم.

وعبد أهل المكسيك إلهاً مصلوباً دعوه المخلص والفادي، وكان يُدعى (كوتز لكوتل) وقد ولد من عذراء، ويقولون إنه رسول مرسل من السماء واسم أمه العذراء (حو بشيكترال) وقد بُشرت بأنها ستحمل من دون مضاجعة رجل[1].

وفي العقائد الهندية وتحديداً في كتاب الركفيدا يمثلون الآلهة يقدمون بروشا الذكر الأول قرباناً يعدونه مساوياً للخالق. وجاء في النصوص الهندية. (سيد المخلوقات) برجاباتي قدم نفسه ذبيحة للآلهة. وقال العلامة هوك: (يعتقد الهنود الوثنيون بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس من الخطيئة، وقدم الإله كرشنا الهندي نفسه ذبيحة ليخلص الإنسان من الآثام).

وقال الموسيوكوينيو في كتابه المعتقدات القديمة: يذكر الهنود موت كرشنا بأشكال متعددة أهمها أنه مات معلقاً على شجرة سمّر بها بضربة حربة. والمقصود من الشجرة الصليب. وقد وُجدت صورة لكرشنا مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين ومعلقاً بقميص صورة قلب إنسان.

وقد صور الراهب جورجيوس الإله إندرا الذي يعبده أهالي نيبال مصلوباً وحتى في البوذية يقولون إن بوذا قدم نفسه ذبيحة ليكفر آلام البشر.

وأخيراً يعتقد غالبية المسيحيين أن المسيح قد صلب وقوم نفسه فداء للبشرية وما تزال صورة صلبه موجودة في كنائس المسيحيين على اختلاف مذاهبها.

والواقع أن المسيحية لم تكن تهتم بكيفية الصلب أو من المسؤول عن ذلك بقدر اهتمامها لماذا تم الصلب ولأي هدف مقدس.

---

(1) محمد علي برو العاملي: الكتاب المقدس في الميزان ص 325 ـ 326 ـ 327 ـ 328.

فالعهد الجديد يدقق في ذلك المعنى وإن الصلب أساساً لتحقيق هدف جاء من أجله المسيح يسوع إلى الدنيا. وتحقيقاً أيضاً لرغبة إلهه ورحمة من الرب نحو شعبه لذلك ركزت إصحاحات العهد الجديد في الأناجيل الأربعة على فكرة أن المسيح يسوع كان يعرف مهمته في الحياة وأنه مكتوب عليه التضحية ليخلص الناس[1].

والواقع أن فكرة الصلب والتضحية لم تكن مفهومة في وقتها حتى بين تلاميذه. فقد كان اليهود يعتقدون في قدوم بطل أسطوري قوي يعيد المُلك وليس رجلاً يصلب ليفدي البشرية كلها[2].

نقاش حول المؤثرات الخارجية في المسيحية:

حينما ندرس حياة من كتبوا الأناجيل والرسائل، ندرك أن ثقافتهم ليست ثقافة المنطقة العربية قطعاً. فهي ثقافة رومانية يونانية اختلطت نوعاً ما بيهودية فريسية. لوقا: رجل يوناني من أبناء أنطاكيا. بولس ـ شاؤول: يهودي ترعرع في طرسوس هو وأسرته، بقية كتبة الأناجيل: متى ـ مرقص ـ يوحنا: لا نعرف عنهم إلاّ القليل، ولا تظهر شخصياتهم في أناجيلهم.

وثقافة الصلب والفداء ليست ثقافة المنطقة، إنما هي ثقافة يونانية رومانية هندية أو ما شابه ذلك، وليس غريباً أن يقول كتبة الأناجيل عن الصلب لأنهم يجترّون ثقافة دينية غريبة عن المنطقة، بينما هي مناسبة لعقولهم.

هل شهدت الحضارة الكنعانية ثقافة الصلب، وكذلك الحضارة البابلية أو الآرامية والثقافة ابنة بيئتها. وثقافة الصلب ابنة بيئة يونانية رومانية ليس أكثر ولو ظهر المسيح في روما أو أثينا أو باريس أو موسكو وقالوا بصلبه لقلنا ربما يكون ذلك لأن الثقافة الوثنية اليونانية القديمة وكذلك جارتها الرومانية الوثنية رسخت لديها

(1) د. عبد الرحمن نور الدين: رحلة الإنسان مع الأديان ص 90 ـ 91.

(2) المرجع السابق 91.

أساطير وملاحم تقول بصلب الآلهة وأبناء الآلهة. حتى في العقيدة اليهودية وعلى الرغم من تحريفها لا يمكن أن تؤمن بأن الله تجسّد على الأرض ثم يصلب فداء للبشرية من أخطائها.

وهنا لابد أن نتوقف أمام نصّين دينيين، نص من العقائد الهندية ونص من العقيدة النصرانية تتطابق الأحداث فيهما حول صلب كرشنا الهندي وصلب المسيح.

فكرشنا صُلب ومات على الصليب

ويسوع صلب ومات على الصليب

لما مات كرشنا حدثت مصائب وعلامات شر عظيم وأحاط بالقمر هالة سوداء وأظلمت الشمس في وسط النهار وأمطرت السماء ناراً ورماداً وتأججت أشعة نار حامية وصار الشياطين يفسدون في الأرض.

ولما مات يسوع حدثت مصائب جمة متنوعة وانشق حجاب الهيكل من فوق إلى تحت، وأظلمت الشمس من الساعة السادسة حتى الساعة التاسعة، وفتحت القبور وقام كثيرون من القديسين وخرجوا من قبورهم.

وثقب جنب كرشنا بحربة

وثقب جنب يسوع بحربة

وقال كرشنا للصياد الذي رماه بالنبلة وهو مصلوب اذهب أيها الصياد محفوفاً برحمتي إلى السماء مسكن الآلهة.

وقال يسوع لأحد اللصين اللذين صلبا معه، الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس.

ومات كرشنا ثم قام من بين الأموات

ومات يسوع ثم قام من بين الأموات

ونزل كرشنا إلى الجحيم

ونزل يسوع إلى الجحيم

وصعد كرشنا بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعداً

وصعد يسوع بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعداً
ولسوف يأتي كرشنا إلى الأرض في اليوم الأخير
ولسوف يأتي يسوع إلى الأرض في اليوم الأخير

والسؤال الذي يطرح نفسه مباشرة هل جاء هذا التشابه صدفة؟ هل استفاد اللاحق من السابق؟ وهل هناك عملية تأثر وتأثير وما الذي أثر بالآخر طالما أن الهندوسية سبقت تاريخياً ظهور المسيحية؟ وطالما أيضاً أن البوذية سبقت المسيحية بالظهور؟

إن دراسة مستفيضة لديانات وعقائد المنطقة العربية تدلنا على أن هناك ديانة توحيدية وُجدت مع إبراهيم ﷺ ومع أولاده إسماعيل وإسحق وغيرهم. ومن ثم انحرف العرب القدماء عن هذه العقيدة وصنعوا لأنفسهم أصناماً يتقربون بواسطتها إلى الله. وإذا نظرنا إلى العقائد التي انتشرت بين كافة الأقوام العربية من كنعانيين وآشوريين وبابليين وآراميين وغيرهم وجدناهم يعبدون آلهة يرمزون إليها بأصنام تمثلها، كعبادة الشمس والقمر والكواكب وغيرها، لكنهم جميعاً لم يفكروا يوماً أن يعبدوا إلهاً تجسد بشراً، وُلد من عذراء ثم صلب ثم صعد إلى أبيه في السماء ثم سيعود مرة أخرى ليحكم على المسيء والمحسن في يومٍ يسمونه يوم الدينونة.

وقد جهل العرب القدماء ما كانت عليه عقائد اليونان والرومان أو الهنود إلا بعد أن عبروا البحار وصاروا يتاجرون مع الأقوام الأخرى ويرون عباداتهم ومعتقداتهم، وطبيعي أن يحدث التأثر والتأثير.

ولكنْ مع كل هذا لابد أن نشير هنا إلى أن الرومان واليونان والشعوب الأوروبية بشكل عام كانت وثنية بالمطلق ودخلت عقائدها الأساطير التي تتدخل فيها الآلهة كما يتدخل البشر، ولاقت المسيحية التي صنعها بولس أرضاً خصبة لدى العقلية الغربية فكان من المحتم أن تكون هذه المسيحية استجابة متطورة للوثنية.

ومن ناحية أخرى فإن فلسفة الصلب والموت والبعث ليست سوى صدى لفلسفة الهنود وغيرهم التي تعلمها اليونان والرومان بشكل واسع فيما قبل المسيحية.

ولا ننسى أن اليونان والرومان قد توسعوا في حروبهم حتى وصلوا بلاد فارس وشمال الهند وليس من قبيل الصدفة أن تستعار عقائد الهنود والفرس للعقيدة المسيحية التي شاهدنا فيها شخصية السيد المسيح على نمط مماثل لنمط كرشنا أو بوذا، ونستخلص أن المسيحية البولسية لا تمت بصلة لا ليهودية ولا لكنعانية ولا لبابلية وآشورية، فهي ثقافة لا تناسب العقلية العربية ولا البيئة العربية وهي صناعة غربية خاصة بشعوب أوروبا أولاً لأنها تناسب عقليتهم وبيئتهم وأساطيرهم ونمط تفكيرهم.

أما النصرانية الحقة، فهي عقيدة من اتبع النبي المسيح عليه السلام فلا هي تؤلهه ولا هي تصدق مزاعم اليهود الذين قالوا إنهم صلبوه. النصرانية الحقة هي عقيدة توحيد لا تختلف في جوهرها عن الموسوية الحقة ولا الدين الإسلامي قطعاً النصرانية التوحيدية هي بنت البيئة العربية، بيئة النبي إبراهيم والأنبياء إسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى وداود وسليمان وإلياس ومحمد خاتم الأنبياء والمرسلين. إنها بيئة التوحيد البعيدة عن التوثين والصنمية، البعيدة عن الخرافة والأسطورة البعيدة عن الفلسفة الوضعية، والبعيدة عن الأوهام التي يصنعها الموسوسون من الكّتاب أمثال لوقا ويوحنا وبولس، وأمثال من جاء بعدهم من متفلسفي العقيدة المسيحية الغربية.

هل التوراة والإنجيل كتابان سماويان؟

حتى لا يقع أي باحث في الخلط بين التوراة التي أنزلها الله سبحانه والإنجيل الذي أنزله الله وبين التوراة والإنجيل اللذين بين أيدينا فإن البحث في مقارنة الأديان ينصب على التوراة بأنواعها والإنجيل بأنواعه كما كتبا ودوّنا ووصلا إلى أيدينا لا كما أنزلهما الله.

وإن ظل الاسم مسمى لنوعين من الكتب سماوية ووضعية إلا أننا نرى أن البحث يتناول هذه النصوص المتداولة اليوم والتي درج على معرفتها الناس منذ مئات السنين على أنها كتب سماوية بينما هي ليست كذلك، لأن أحدها وهو التوراة

يُطلق على ثلاثة كتب تسمى بهذا الاسم. وهي التوراة العبرانية والتوراة السامرية والتوراة اليونانية أو السبعينية. وثانيها كتاب مؤلف من أربعة كتب لأربعة مؤلفين وهي: إنجيل متى وإنجيل مرقص وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا. أما السؤال المطروح في هذا الإطار فهو:

هل التوراة كما نراها اليوم كتاب منزل من الله سبحانه وتعالى؟

وهل الأناجيل الأربعة تستمد قدسيتها عند المسيحيين من كونها منزلة من الله عز وجل. أم تستمد قدسيتها من أمر آخر؟

ثم نطرح السؤال التالي: ما هي المقاييس المتبعة حتى نعرف مدى ارتباط هذين الكتابين بالتنزيل الإلهي؟

وللإجابة على هذه الأسئلة لابد من التمعن والتفكر طويلاً في السُبل المنطقية لإيجاد الجواب المقنع.

وقبل الغوص في إيجاد الأجوبة المنطقية لابد أن نشير إلى أن القرآن الكريم الذي أنزل بعد التوراة والإنجيل الحقيقيين يتضمن حديثاً طويلاً عن هذين الكتابين كما أنزلا. ويتضمن كلاماً صريحاً عن تحريفات كثيرة وقعت لهما بل وإخفاءً تاماً لإنجيل عيسى عليه السلام.

وهذا يعني أن هناك توراة وإنجيلاً موجودان في القرآن الكريم، ونستطيع أن نحصر الآيات القرآنية الكريمة التي تحدثت عنهما وعن محتوياتهما.

ولابد هنا من الإشارة إلى ما قاله الدارسون الكُثر من المسيحيين واليهود في هذين الكتابين وهم يحققون في النصوص التوراتية والإنجيلية. من حيث تاريخ الكتاب والمؤلفون والتناقض مع معطيات التاريخ وعلم الآثار والعلوم بشكل عام.

ورد اسم التوراة في القرآن الكريم في تسعة عشر موضعاً.

وورد اسم الكتاب المقترن بالنبي موسى عليه السلام في تسعة مواضع.

وورد اسم الإنجيل في اثني عشر موضعاً من القرآن الكريم.

أما في ما يخص الكتاب المرتبط بالنبي موسى عليه السلام، فقد قال تعالى:

1 ـ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (القصص 43).

2 ـ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (البقرة 87).

3 ـ ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (الأنعام 154).

4 ـ ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (الإسراء 2).

5 ـ ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ (هود 17).

6 ـ ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ (الأحقاف 12).

7 ـ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (المؤمنون 49).

8 ـ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (الفرقان 35).

9 ـ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (السجدة 23).

أما فيما يخص الإنجيل وعلاقته بالنبي عيسى عليه السلام فقد قال تعالى:

1 ـ ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ (آل عمران 3).

2 ـ ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ (آل عمران 48).

3 ـ ﴿ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ ﴾ (آل عمران 65).

4 ـ ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ (المائدة 46).

5 ـ ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ ﴾ (المائدة 47).

6 ـ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ (المائدة 66).

7 ـ ﴿ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ (المائدة 68).

8 ـ ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ (المائدة 110).

9 ـ ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ (الأعراف 157).

10 ـ ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾ (التوبة 111).

11 ـ ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ ﴾ (الفتح 29).

12 ـ ﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ (الحديد 27).

وتنقسم التوراة إلى ثلاثة أنواع هي:

1 ـ التوراة السامرية وفيها خمسة أسفار فقط وتسمى أسفار موسى الخمسة.

2 ـ التوراة العبرانية وفيها تسعة وثلاثون سفراً.

3 ـ التوراة اليونانية أو السبعينية وشارك في كتابتها اثنان وسبعون حبراً يهودياً زمن الملك المتنصر قسطنطين، وفيها أربعة وأربعون سفراً وتشترك الكتب الثلاثة بالأسفار الخمسة الأولى وهي:

1 ـ التكوين 2 ـ الخروج 3 ـ اللاويين 4 ـ العدد 5 ـ التثنية.

أما الأناجيل فهي أربعة معترف عليها من قبل الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية وهي: إنجيل متى، إنجيل مرقص، إنجيل لوقا، إنجيل يوحنا. وهناك أناجيل غير معترف عليها وهي كثيرة تصل إلى العشرين إنجيلاً أهمها على الإطلاق إنجيل برنابا. وقد أعدمت الكنيسة جميع الأناجيل في القرن الرابع الميلادي وأبقت على الأناجيل القانونية حسب رأيها وهي الأربعة التي ذكرناها.

وحين نضع التوراة والأناجيل في ميزان مقارنة الأديان لابد أن نستعين بعلم تاريخ الأديان ومن ضمنه تاريخ كتابة هذه الكتب. ولابد من اللجوء لعلم مقارنة الأديان بما فيه من قوانين وأسس وقواعد تمكننا من الإجابة على السؤال الكبير. هل التوراة والأناجيل كتب سماوية أو وضعية؟

وبذلك يمكن لنا أن نصل إلى نتائج إيجابية مهمة.

ويمكن أن نجمل الأسس والقواعد والقوانين فيما يلي:

1 ـ تاريخ ظهور كتاب التوراة وتدوينه.

2 ـ تاريخ ظهور كل إنجيل على حدة.

3 ـ مقارنة بين ما جاء في القرآن الكريم وما جاء في التوراة والأناجيل من قصص وعقيدة وتشريع.

4 ـ اللغة التي كتب بها كتاب التوراة وكذلك اللغة التي كُتبت بها الأناجيل مقارنة بالأصل إن وُجد، وإن لم يوجد فمقارنة بالمعطيات التاريخية واللغوية والمؤثرات الداخلية والخارجية.

5 ـ آراء العلماء في هذه الكتب وخاصة العلماء اليهود والنصارى.

تاريخ ظهور التوراة وتدوينه:

على الرغم من انتقاد كافة العلماء والمفكرين والباحثين لما أوردته التوراة العبرانية من أن هذا الكتاب موحى به من الله سبحانه. إلا أن إجماعاً شبه كامل يؤكد أن التوراة العبرانية دونها عزرا الكاتب الذي كان ضمن المسبيين اليهود في بابل.

ولعل الاختلاف في ما بين التوراة العبرانية والتوراة السامرية والتوراة اليونانية في طريقة التأليف وتاريخه يشير إلى أن هذه الكتب المسماة بالتوراة ليست بالتأكيد الكتاب الذي أنزله الله سبحانه على النبي موسى ﷺ.

وعندما نراجع آيات القرآن الكريم نجد أن الله سبحانه أنزل على موسى الألواح وفيها موعظة وهدى لبني إسرائيل. وهذه الألواح وما حوته من تعاليم في الحلال والحرام والتشريع بشكل عام شكلت الكتاب، أي كتاب موسى ﷺ ولا تمت بصلة لما أنزل من بعده.

وقد رأى العلماء الغربيون وغيرهم أن أقدم نسخة من الكتاب المقدس خُطت باللغة العبرية لا يتجاوز عمرها أربعمائة سنة بعد ميلاد المسيح ﷺ.

وهذا يعني أن ما دونه عزرا حسب قول التوراة لم يظهر إلى العيان ولم يُعثر على ما دونه. وإنما عثر على مخطوطات هذا الكتاب بعد ميلاد المسيح بأربعمائة سنة.

(ويلاحظ أن أبعد تاريخ لتدوين أقدم نسخة خطية للكتاب المقدس حسب تقدير المتساهلين من علماء الأديان الغربيين هو نهاية القرن الرابع الميلادي، أي أن أقدم نسخة من هذا الكتاب كُتبت بعد النبي موسى بألف عام)[1].

ويقرر الباحثون والعلماء أن هناك مقياسين لمعرفة نسب أي كتاب ديني ولا سيما التوراة.

1 ـ أن يكون الكتاب قد وصل إلينا بالسند المتصل المتواتر.

---

(1) د. محمد عبدالله الشرقاوي: في مقارنة الأديان، ص 54، دار الهداية، القاهرة 1986.

2 ـ أن يثبت ثبوتاً قطعياً أن نبياً من الأنبياء قد كتبه أو أملاه بناءً على وحي إلهي. ولابد أن يعتمد كل هذا على اليقين ومجرد الوهم غير كاف[1].

وعلى هذا فهل ثبت ثبوتاً قطعياً أن النبي موسى عليه السلام قد دوّن كتاب التوراة أو أمر بتدوينه؟

وهل ثبت أن كتاب التوراة وصل إلينا عن طريق السند المتواتر.

في سفر التكوين أو سفر الخليقة لم يظهر النبي موسى قطعاً ولا يوجد أي إشارة في هذا السفر إلى النبي موسى.

وفي سفر التثنية الذي يعتبر أهم سفر تشريعي ويعتبر من أسفار موسى الخمسة ترد عبارة (وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يوماً فكملت أيام بكاء مناحة موسى) تثنية 34: 7 ـ 8.

فإذا كانت التوراة وحياً من الله لموسى فكيف تقول حين مات: وكان ابنَ مئة وعشرين سنة؟.

وترد في آخر عبارة من هذا السفر: (ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى).

على أي حال فالميت لا يدوّن والميت لا يوحى إليه بالتدوين وموسى عليه السلام لم يأمر أحداً بتدوين هذه الأسفار.

وهناك الكثير من النصوص التي وردت في الأسفار الخمسة الأولى من التوراة العبرانية تدل أن كاتب هذه التوراة رجل جاء بعد موسى عليه السلام بمئات السنين منها: أن موسى عليه السلام لم يكتب مقدمة سفر التثنية الحالي التي جاء فيها: (فيما وراء نهر الأردن ابتدأ موسى بشرح هذه الشريعة قائلاً...) فموسى لم يعبر نهر الأردن ومات في البرية كما جاء في آخر سفر التثنية ذاته وورد في سفر التثنية: (وقد كتب موسى هذه التوراة) ويستحيل أن يكون موسى قد قال ذلك، بل لابد من أن

---

(1) المرجع السابق ص 61.

يكون قائلها كاتباً آخر يروي أقوال موسى. وقد أشارت التوراة إلى أحداث ووقائع لم تحصل إلا بعد وفاة موسى عليه السلام، ومن الواضح أن أسلوب صياغة هذه الأسفار الحالية يجزم بأن موسى عليه السلام لم يكن واضعها وذلك من طريقة إسناد الضمائر أو التعليق على نص الرواية وشرحها. وأشارت هذه التوراة إلى أسماء أماكن لم تعرف بهذه الأسماء إلا بعد موسى عليه السلام بزمن طويل"[1].

ومن الأدلة الواضحة على عدم صلة هذه التوراة بالنبي موسى اختلاف المضمون والمفردات بين ترجمات التوراة.

فإحدى نسخها المترجمة إلى العربية قبل ألف عام يرد في بداية سفر التكوين: في الأول خلق الله السماء والأرض وكانت الأرض غير منظورة وغير مستعدة والظلمة فوق اللجة وروح الله ترف فوق الماء. ويطلقون على هذا السفر سفر كون الدنيا.

وقد جاء في ترجمة المشرق: في البدء خلق الله السماوات والأرض وكانت الأرض خاوية خالية وعلى وجه الغمر ظلام وروح الله يرف على وجه الماء.

وفي ترجمة المطبعة الكاثوليكية: في البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خربة خاوية وعلى وجه الغمر ظلام وروح الله يرف على وجه الماء.

فأي الروايات هي الأصح؟ لا ندري.

وإضافة إلى ذلك فإن سند التوراة ينقصه التواتر أو بالحري يفتقد لهذا التواتر كلياً. فيرى مثلاً السموأل بن يحيى المغربي أن هذه التوراة هي كتاب عزرا وليست كتاب الله كما يقرر بأنه لا يعتقد أحد من علماء اليهود وأحبارهم البتة أن هذه التوراة التي بأيديهم هي المنزلة على موسى[2].

---

(1) محمد عبدالله الشرقاوي: مقارنة الأديان، ص 76 ـ 77.

(2) السموأل بن يحيى المغربي: إفحام اليهود، ص 135 ـ 145، دار الهداية، القاهرة 1986.

ويقول السموأل: (فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرق جمعهم ورفع كتابهم جمع من محفوظاته. ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم الآن)[1].

وهناك من القضايا الكثيرة المثيرة والتي تقف حائلاً كبيراً دون وجود صلة بين التنزيل الإلهي والتوراة التي يتداولها اليهود والنصارى اليوم.

فالتوراة العبرية المؤلفة من 39 سفراً تنقسم إلى مجموعات، المجموعات الأولى الأسفار الخمسة التي ينسبونها للنبي موسى عليه السلام.

والمجموعة الثانية وتسمى التاريخية وهي اثنا عشر سفراً وهي سفر يشوع والقضاة وراعوث وصموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني وأخبار الأول والثاني وسفر عزرا. وهي سرد تاريخي ملحمي يتنافى مع حقائق التاريخ.

والمجموعة الثالثة أسفار شعرية وتسمى أسفار الأناشيد وعددها خمسة أسفار وهي أيوب ومزامير داود وأمثال سليمان والجامعة من كلام سليمان ونشيد الإنشاد لسليمان.

والمجموعة الرابعة أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر سفراً، وهي أشعياء أرمياء مراثي إرمياء حزقيال دانيال هوشع يوئيل عاموس عوبيديا يونان ميخا ناحوم حبقوق صُفنيا حجّاي زكريا ملاخي. ويقولون: إن هذه الأسفار موحى بها من الله إما كتابةً أو شفاهية. فإذا كانت وحياً من الله فإن ما فيها يتناقض تناقضاً كلياً مع صفات الله وأفعاله ومع معطيات التاريخ والأخلاق العامة والتشريع.

ولذلك سنوجز التناقضات فيما يلي:

1 ـ الأسفار تجسد الله الخالق وتجعله كالبشر فكيف يكون الله أوحى بها وهو منزه على التجسيد والتجسيم وصفات البشر.

2 ـ تلصق بالأنبياء صفات الرذيلة والاستهتار بالقيم والأخلاق فهل يعقل أن يوحي الله بأمور تشوه أنبياءه الذين بعثهم لهداية البشر.

---

(1) المصدر السابق، ص 138.

3 ـ هناك أسفار خمسة شعرية فيها تجديف على الله ووصف لحالات جنسية شاذة فهل يعقل أن يوحي الله بأمور فيها تجديف على ذاته.

4 ـ في الأسفار التاريخية عنصرية دموية واضحة ومذابح ترتكب بحق الآمنين من الأطفال والشيوخ والنساء والحيوانات، فهل حقاً أن الله عنصري دموي يتلذذ بمقتل الأطفال والشيوخ والنساء والحيوان؟!.

5 ـ هل يكتب الله أو يوحي بالتاريخ والشعر كما تتصور التوراة؟

6 ـ نص التوراة السامرية يخالف مخالفة واضحة نص التوراة العبرانية والتوراة اليونانية. وهذه الكتب لا تتطابق سواءً في عدد الأسفار أو في محتوى هذه الأسفار ويتهم علماء كل فرقة منهم الآخرين بالتحريف والوضع.

7 ـ النصوص التاريخية التوراتية تخالف الحقائق التاريخية والآثارية فإذا كانت حقاً موحاة من الله سبحانه فلا يمكن أن تكون متعارضة مع الحقائق التاريخية والآثار. بل إنها تكون مفتاحاً علمياً صحيحاً لعلوم التاريخ والآثار.

آراء بعض العلماء حول مصدر التوراة

لقد طرح عدد كبير من علماء الأديان والفلاسفة آراء حول مصدرية كتاب التوراة ما إذا كان كتاباً سماوياً أو موضوعاً، وقد استند هؤلاء العلماء على مستندات تاريخية وعلمية واستنتاجات في غاية الأهمية.

وقد طرح هذا السؤال الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا 1633 ـ 1677.

هل نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى صحيحة؟ فإذا كانت صحيحة فمعنى ذلك أنها من مصدر إلهي وإذا لم تكن نسبتها صحيحة فهي موضوعة وليس إلهية فيقول: لا تتحدث الأسفار الخمسة عن موسى بضمير الغائب فحسب وإنما تعطي عنه شهادات عديدة لا يصح البتة أن يكون هو الذي أعطاها عن نفسه ومن ثم لا يسوغ قطعاً أن يكون هو كاتبها وهذه الشهادات مثل: تحدث الله مع موسى وكان الله مع موسى وجهاً لوجه.. وكان موسى رجلاً حكيماً جداً أكثر من كل الناس فسخط موسى على وكلاء الجيش.. موسى رجل الله. لقد مات موسى خادم الله ولم يقم من بعده في بني إسرائيل كموسى.

وعلى العكس من ذلك فإن موسى يتحدث ويقص أفعاله بضمير المتكلم في سفر التثنية التي كُتبت فيها الشريعة التي شرحها موسى للشعب والتي كتبها بنفسه فيقول مثلاً: (كلمني الرب. رجوت الرب) فطريقة الكلام والشواهد ومجموع نصوص القصة كلها تدعو إلى الاعتقاد بأن موسى لم يكتب هذه الأسفار بل كتبها شخص آخر.

ويتابع سبينوزا بقوله: يجب أن نذكر أيضاً أن هذه الرواية الواردة في الأسفار الحالية لا تقص فقط موت موسى ودفنه وحزن الأيام الثلاثين للعبرانيين عليه، بل تروي أيضاً أنه فاق جميع الأنبياء، إذا ما قورن بالأنبياء الذين جاؤوا بعده. (ولم يقم من بعده نبي في إسرائيل كموسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه) فهذه شهادة لم يكن من الممكن أن يدلي بها موسى عن نفسه أو شخص آخر أتى بعده مباشرة. بل هذه شهادة شخص عاش بعده بقرون عديدة وقرأ عن أنبياء عديدين بعد موسى ولا سيما أن المؤرخ قد استعمل الصيغة المعبرة (ولم يقم) ويقول عن القبر (ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا).

ويرى سبينوزا أن موسى كتب بنفسه بأمر الرب سفراً يسمى (سفر حروب الرب) يحتوي على قصة الحرب ضد العماليق. وهناك إشارات إلى سفر آخر يسمى (سفر العهد) قرأه موسى أمام الإسرائيليين عندما عقدوا عهداً من الرب. ويرجح سبينوزا أن مضمون هذا السفر متضمن في الإصحاح العشرين من سفر الخروج الحالي.

وهناك ذكر لسفر يسمى توراة الرب أو توراة الله ثم شرح موسى الشرائع التي سنها وأخذ من الشعب ميثاقاً جديداً بأن يظلوا خاضعين للشريعة ثم كتب ذلك كله في سفر توراة الله.

ثم يتساءل سبينوزا: أين سفر توراة الرب، أو توراة الله؟

ويجيب: لما لم يكن لدينا أي سفر يحتوي على عهد موسى وفي الوقت نفسه على سفر يشوع فيجب أن نعترف ضرورة بأن هذا السفر قد فُقد. ونستنتج إذاً أن سفر توراة الله هذا الذي كتبه موسى لم يكن من الأسفار الخمسة الحالية بل كان سفراً مختلفاً كلية.

ويرى أن سفر توراة الله الذي كتبه موسى كان صغيراً جداً لأن واضع التوراة الحالية ذكر أن موسى أعطاه الأحبار ثم طلب قراءته أمام الشعب في أوقات معلومة وهذا يدل على أنه كان أقل حجماً بكثير من الأسفار الخمسة. إذ كان من الممكن قراءته كله في مجمع عام بحيث يفهمه الجميع. ومعنى ذلك أن التوراة الأصلية ليست هي هذه الأسفار الحالية.

وبنفس الطريقة ينقد سبينوزا بقية الأسفار يشوع والقضاة ويثبت أنها لم تكتب من قبل يشوع والقضاة بل كتبها شخص آخر جاء بعدهم بقرون.

ويقرر سبينوزا أن الذي كتب الأسفار مؤرخ واحد أراد أن يروي تاريخ إسرائيل القديم منذ نشأتهم الأولى.

ويدل على ذلك وحدة الغرض في جميع الأسفار التي فحصها.

وطريقة تسلسل هذه الأسفار أو طريقة ربطها ببعضها وتخلُّص المؤرخ من سفر إلى آخر، والمحتوى.

ويرجح سبينوزا أن عزرا هو الذي دون هذه التوراة ونسبها إلى موسى زوراً وبهتاناً[1]. فهو الذي تمتع بثقافة عالية وبوضع اجتماعي مرموق عند الملك البابلي نبوخذ نصر ثم عند ملك الفرس. ولم يعرف بنو إسرائيل راوياً يروي التاريخ قبل عزرا الكاتب.

ولا يقتصر التشكيك بالتوراة والإنجيل على سبينوزا وحده بل إن الكثيرين من علماء الغرب وفلاسفتهم شككوا بهذين الكتابين ونسبوهما إلى مؤلفين معروفين أو مجهولين، وبمعنى آخر رفضوا نسبة الكتابين إلى عملية تنزيل إلهي.

ومن هؤلاء آدم كلارك الذي فسر سفر التثنية حيث يقول: إن الآيات الخمس من أول هذا الباب بمنزلة المقدمة لباقي الكتاب وليست من كلام موسى والأغلب أن يشوع أو عزرا ألحقها.

(1) نقلاً عن كتاب محمد عبدالله الشرقاوي في مقارنة الأديان من ص 75 ـ 85.

والحق أن علماء الكتاب المقدس لا يقتصر إقرارهم بالوضع والإلحاق على بعض العبارات أو الجمل بل يتعداه إلى الإقرار بإلحاق أو وضع باب أو إصحاح بأكمله في سفر التثنية.

ويتابع هنري كلارك حول ذلك بقوله: ثم كلام موسى على الباب السابق، أي الباب 34 من سفر التثنية ليس من كلامه ولا يجوز أن يُقال إن موسى كتب هذا الباب أيضاً بالوحي. لأن هذا الاحتمال بعيد من الصدق والحُسن بل ويجعل المطلب كله لغواً. وإني أجزم ـ والكلام لكلارك ـ بأن هذا الباب كان باباً أولاً لكتاب يوشع. والحاشية التي كتبها بعض الأذكياء من أحبار اليهود على هذا الموضع مرضية وقابلة للقبول.

نستخلص مما تقدم: أن هذا الكتاب وحتى الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى ﵇ لا سند لها ولا دليل على أنها وحي من الله وأنها مجرد تأليف لا أكثر ولا أقل.

بحث في وضعية الأناجيل وعدم رجوعها إلى التنزيل الإلهي

من المؤكد والمسلم به أن الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى ﵇ اختفى ولم يظهر إلى الوجود بعد رفع عيسى ﵇.

وظهرت بعده أناجيل عديدة قد يصل تعدادها إلى أكثر من عشرين إنجيلاً. وكل إنجيل تختلف روايته ولغته عن رواية ولغة أي إنجيل آخر.

في بداية الأمر نحن نسلم أن الله سبحانه أنزل على عيسى إنجيلاً وهذا صريح في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ (آل عمران 3).

ويقول تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ (المائدة 46).

ويقول تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ (الحديد 27).

ولكن أين هو هذا الإنجيل؟ لو عدنا إلى جميع الروايات التاريخية والمسيحية لرأينا أنه لا ذكر لإنجيل عيسى ﵇.

وبعد التحليل لمجريات الأحداث الخاصة بقصة المسيح والتي وردت في الأناجيل ومصادر التاريخ تشير إلى أن الإنجيل الذي نزل على عيسى أُخفي أو أخفاه اليهود والرومان لتكتمل المؤامرة حيث يُؤلهُ المسيح ويُصلب وهذا من الهراء والكذب وإذا كان لا يوجد إنجيل لعيسى عليه السلام فهل هذه الأناجيل التي كتبت من قبل أشخاص على فترات متباينة أنزلت من السماء؟ أو هل هي وحي من الله؟

جميع كتبة الأناجيل يعترفون أنهم هم من دونوا هذه الأناجيل وفيها أخبار وأفكار نقلها هؤلاء مما يرويه الناس على مدى قرن من الزمان بعد رفع المسيح عليه السلام. يتفق اللاهوتيون وكثير من العلماء أن إنجيل متى ظهر إلى الوجود ما بين عامي 75 ـ 90م وظهر إنجيل مرقص في ما بين عامي 60 ـ 70م، وظهر إنجيل لوقا في عام 70م أو بعد ذلك بقليل، وظهر إنجيل يوحنا في ما بين 110 ـ 113 بعد ميلاد المسيح.

وبشهادة لوقا أنه (لما أخذ كثير من الناس يدونون رواية الأمور التي تمت عندها كما نقلها إلينا الذين كانوا منذ البدء شهود عيان للكلمة. ثم صاروا عاملين لها رأيت أنا أيضاً وقد تقصيتها جميعها من أصولها أن أكتبها لك مرتبة يا ثاوفليس المكرم لتتيقن صحة ما تلقيت من تعليم).

يرى العلماء أن استهلال الأناجيل بعبارة ـ (طبقاً لـ) يدل على أن كل الأناجيل، ما عدا إنجيل برنابا، لا تشير حقيقةً إلى مؤلف الأناجيل أو توقيعه.

وهناك شهادات كثيرة لقساوسة مسيحيين حول عدم الموثوقية بهذه الأناجيل على أنها منزّلة من الله.

من هذه الشهادة شهادة القس فيلبُس من الكنيسة الإنجليكانية البريطانية وهو من أشهر رجال الكنيسة.

يقول: (تنسب التقاليد القديمة جداً هذا الإنجيل إلى الحواري متى ولكن علماء العصر الحاضر غالباً ما يرفضون هذا الرأي).

ويقول: إن المؤلف الذي ما زلنا ندعوه متى، لا بد أن نقول عن كتابه الكتاب الأول من العهد الجديد. لقد اعتمد متى بكل وضوح على مصدر خفي يرمز له بالحرف Q ولعله يكون مجموعة من التراث الديني الشفاهي. ولابد من وجود وثيقة أخرى استمد منه كلٌ من متى ومرقص ولوقا مدخلاً لأناجيلهم.

وتحت عنوان سرقة بالجملة يقول الشيخ أحمد ديدات:

ولكن ماذا عن الوحي ماذا عن حرفة الإلهام. لقد أصاب القس الإنجليكاني فيلبُس والمربوط على ميزانية أبرشية المرمى. فإنه أوفر من أي مسيحي آخر مفوض لمثل هذا العمل. يقول: إن القديس متى استخدم مادة إنجيل مرقص بتصرف مطلق في إنجيله أي بلغة مدرّسي المدارس. إنه نسخ صورة طبق الأصل إجمالية من إنجيل مرقص. ومع هذا فإن المسيحيين يطلقون على انتحال أو سرقة المؤلفات بالجملة إنها كلام الله[1].

ويبرز السؤال المفروض: لماذا ينتحل شاهد عيان وهو متى من إنسان كان يكتب عن الأحاديث الشائعة وقتئذ؟ إن الحواري متى لن يُقدم على عمل أحمق كهذا فلا بد وأن تكون هناك وثيقة أخرى مجهولة المؤلف وبلا توقيع فرضت فرضاً على اسم متى لتحظى بشرف انتسابها إليه.

ويتضح أن 85٪ من سرقات كتاب مرقص وانتحالها من كتابي متى ولوقا تضع إنجيلهما في صور لا معنى لها بالمقارنة بالاختطافات الأدبية لمؤلفي مؤلفات العهد القديم حيث إن 100٪ من هذه السرقات حدثت فيما يطلق عليه أنه كتاب الله. ومن ناحية أخرى فإن الاختلاف في المنهج وأسلوب الكتابة وحتى كتابة المقدمة والابتداء يدل على أن كل مؤلف من مؤلفي الأناجيل كتب إنجيله على هواه وبما تقتضيه المصلحة والزمان والمكان.

لقد جمع الإنجيليون ودونوا وفقاً لنظراتهم الخاصة ما أتاهم من التقاليد الشفهية لكنهم لم يكتفوا بذلك فقد كانوا يشعرون هم أيضاً أنهم يعلنون البشرى

---

(1) أحمد ديدات: هل الكتاب المقدس كلام الله، ص 154 ـ 155.

لأهل جيلهم ويرغبون في التعليم وفي الجواب عن مشاكل الجماعات التي كانوا يكتبون لأجلها[1].

ثم إن الأناجيل حسب اعتراف الكهنوت المسيحي تعبر عن بيئات مختلفة. فالأناجيل الثلاثة باستثناء يوحنا وضعت قبل هذا الإنجيل. أما إنجيل متى وإنجيل لوقا فلا تنعكس فيهما البيئات نفسها لأنهما وُجِّها إلى بيئات أخرى. وحسب رأي المسيحيين اللاهوتيين فقد وُضعا بعد إنجيل مرقص بـ 15 ـ 20 سنة.

ومن العلامات التي تدل على التأليف البشري:

1 ـ افتقاد إنجيل متى إلى اللحمات الزمنية.

2 ـ غموض الإشارات المكانية وعدم الترابط بين الروايات القصيرة عن سيرة المسيح.

3 ـ وُرود مفردات تارة يونانية، وتارة عبرية، وأخرى آرامية.

فإذا كان إنجيل متى ومرقص وحياً من الله فهل هذا الوحي يكون تارة باللغة الآرامية وتارة باليونانية أو اللاتينية.

4 ـ جهلُ لوقا بجغرافية فلسطين. فإذا كان إنجيله وحياً من الله فهل يخطئ الله بالجغرافيا؟

5 ـ وقد أوردنا أن هناك عشرات الأناجيل التي أتلفتها الكنيسة. فهل يُعقل أن الله أوحى لمؤلفي الأناجيل جميعهم فكتبوا هذا الكم من هذه الأناجيل؟؟

إن التثبّت الذي أوردناه من أن الأناجيل تأليف وليست وحياً من الله يصل بنا إلى نتيجة حتمية مفادها أن العقيدة المسيحية، خاصة التي يتنباها الغربيون وعلى رأسهم الكنيسة الكاثوليكية في روما ليست سوى عقيدة باطلة منشقة عن عقيدة المسيح الأساسية ـ لذلك رأينا عندهم تأليه المسيح وصلبه وآلاف الخزعبلات والتخيلات التي صنعوها بأنفسهم ولم يقل بها المسيح عليه السلام ولم ترد في إنجيله الذي أنزله عليه الله سبحانه وتعالى.

---

(1) العهد الجديد، مدخل إلى الأناجيل الإزائية ص 22.

الفصل الثالث

عقائد مستحدثة
عقيدة السيخ - البهائية
القاديانية - اليزيدية - الصابئة

الفصل الثالث

عقائد مستحدثة

عقيدة السيخ - البهائية - القاديانية

اليزيدية - الصابئة

قد يستغرب بعضنا لاختيارنا لهذه العقائد المتناثرة لتكون مادة للتطبيقات المنهجية في علم مقارنة الأديان.

فما شأن عقيدة السيخ بالقاديانية أو البهائية أو اليزيدية، وما شأن اليزيدية بالسيخ طالما افتُقِد البعد الجغرافي وافتقدت عوامل التأثر والتأثير.

سؤال مشروع في ظاهره لكننا نرى أن اختيارنا لهذه العقائد يستند إلى رؤية حول نشوء هذه العقائد وانشقاقها عن عقائد أخرى. أو دمج عقائد متعددة في عقيدة واحدة كالسيخ.

فقد نشأت هذه العقائد في عصور متأخرة. وإنْ قيل إن اليزيدية نشأت في عصر أقدم وليست هي عقيدة حديثة.

ومن جانب آخر فهذه العقائد انشقت عن غيرها عقيدياً وتشريعياً بمعنى أنها لم تكن مذاهب ظلت على الأصول واختلفت في غيرها. لذلك لا يمكن أن نقول بأن البهائية مذهب إسلامي أو فئة إسلامية أو طائفة مسلمة. ولا يمكن أن نقول إن السيخية مذهب هندوسي أو بوذي وكذلك الأمر بالنسبة للقاديانية واليزيدية، فهي عقائد قائمة بذاتها في جميع مناحي حياتها الدينية.

ومن جانب ثالث فإن انتقاءنا لهذه العقائد يعود إلى كونها ما تزال حية وما تزال تطور في عقيدتها وتشريعها وامتدادها البشري والجغرافي وهي منفصلة تماماً عن غيرها من العقائد الرئيسة المعروفة.

ولعل ظروف نشأتها أيضاً من الأمور الهامة التي يجب أن يطّلع عليها الدارسون والمهتمون. فلا يمكن أن ندرس أي ظاهرة دينية دون دراسة المناخ الديني والاجتماعي والسياسي الذي خرجت من رحمه.

ولكن هل من رابط بين هذه العقائد؟ نعتقد أن ما وردنا وما قرأناه من نصوص تخص هذه العقائد يوحي لنا أن هناك تقاطعات هامة ومهمة بينها، وهذه التقاطعات لا يمكن أن تُدرس بمعزل عن دراسة الجغرافيا والبيئة والمؤثرات الداخلية والخارجية. إضافة إلى دراسة التغيرات التي أحدثها دعاة هذه العقائد معارضين فيها الأصول الدينية التي ينتسبون إليها حسب أقوالهم ونصوص كتبهم.

عقيدة السيخ

تقوم عقيدة السيخ على التوحيد والتسليم بسيادة الله الخالق على كل شيء وعملية الخلق عندهم ضرورة لإظهار قدرة الله تعالى، وقد فسروا عملية الخلق على النحو التالي: مضى زمن لم يكن فيه سماء ولا أرض ولا نهار ولا ليل ولا شمس وقد خلق الله العالم بأقسامه الجوهرية وعناصره الأساسية وعناصره الوسيطة والثانوية والله قضى أن يكون الإنسان أعلى مخلوقاته وأن تكون بقية المخلوقات في خدمته، وقد دعا مؤسس السيخية (ناناك) اسم الحق على إلهه كي يتجنب أن يطلق عليه اسم الله ـ حسب الإسلام ـ وراما حسب الهندوسية.

وأطلقوا على الإله اسم (هاري) وتعني العطوف لأن العطف أفضل صفة لله.

وقد ورد في كتاب أساسي عند السيخ أن الله واحد وشخصي وهو الخالق المفارق المتعالي. والله عندهم لا شكل له وهو الأزلي. والذي لا يوصف. ويرى المعلم الأول (ناناك) أن الإنسان يستطيع أن يعرف الله. لأن الله في تمامه لا يمكن معرفته. ويرى أن الله حاضر في كل مكان.

ولا شك أن المؤثرات الإسلامية واضحة في معظم رؤيتهم للذات الإلهية وخاصة، وحدانية الله. ومسألة خلق السماوات والأرض وأخيراً الإنسان وهناك مؤثرات هندوسية خاصة عند قولهم بأن العالم غير حقيقي. إنه وهم يتقلب مثل

لمعان البرق الخاطف. وآمن ناناك بقانون العودة المتكررة أما معابدهم فقد كان وما يزال على رأسها المعبد الذهبي في مدينة أرمتسار الهندية. ويقدم السيخي الصلوات في المعبد، ولا يسمح أن توضع الصور أو الرسوم التي تشير إلى الله، فهم ينزهون الله عن التشبيه والتجسيد.

والصلاة عندهم ابتهالات وأناشيد للنعمة الإلهية.

ويرون أن البشر سواء أمام الله وقد أرادوا من ذلك رفض مزاعم الهندوسية التي تؤمن بالطبقات الاجتماعية وتميز بين البشر.

ولا يوجد عند السيخ نظام للكهنوت ـ وقد أخذوا عن الهندوس مراسم حرق جثة الميت، وبعد حرقها يرمى الرماد في أحد الأنهار.

ومن المعروف أن السيخ لا يتزايدون إلا بولاداتهم، وهم لا يُدخِلون أحداً في دينهم، ولذلك تبقى أعدادهم هي هي لا تزيد كثيراً. ويبلغ تعدادهم اليوم حوالي 12 مليون نسمة أكثرهم في منطقة البنجاب[1].

ظهرت عقيدة السيخ في نهاية القرن الخامس عشر. وذكرت كتب السيخ أن ناناك توفي عام 1539. وبهذا نستطيع القول إن مذهب السيخ العقيدي لم يتجاوز عمره الخمسمائة سنة، وهو بهذا يكوّن عقيدة حديثة جداً نسبةً إلى العقائد العالمية أو العقائد الواسعة الانتشار.

ولا يقول السيخ بنزول كتاب سماوي إنما يعتبرون أقوال زعمائهم مقدسة وفيها تراتيل وأشعار وعظات، ومفهوم النبوة عندهم غير موجود، إنما هناك معلمون يتوارثون زعامة السيخ واحداً بعد الآخر.

ومفهوم الآخرة غير موجود إنما لديهم فكرة الخلاص والاتحاد النهائي بالذات الإلهية. وفكرة الخلاص تخلصهم من مفهوم التناسخ. فإذا زاغ الإنسان عن طريق الله فسيظل يتناسخ إلى ما لا نهاية[2].

---

(1) موسوعة عالم الأديان، المجلد الرابع، من صفحة 129 ـ 141.

(2) موسوعة الأديان مرجع سبق ذكره.

وفي تشريعاتهم لا يجوز زواج السيخي من غير طائفته وكذلك الفتاة السيخية لا يجوز أن تتزوج من غير طائفتها.

البهائية والبابية

من المعروف أن البابية نشأت كفرقة إسلامية شيعية وقد مسحت سلوكها بمسحة صوفية باطنية تبشر بظهور المهدي المنتظر، وكانت تسمى الشيخية نسبة إلى الشيخ أحمد الإحسائي ومن بعده تلميذه كاظم الرشتي.

وبعد وفاة الرشتي انقسم أتباعه إلى ثلاث فرق أقواها كانت فرقة الملا حسين البشروني. ويلتقي البشروني مع شخص يدعى علي محمد الشيرازي. ادعى أنه المهدي المنتظر وتحولت الشيخية إلى عقيدة جديدة سميت البابية سنة 1844 ولقب الشيرازي بالباب والبشروني بباب الباب.

أما بالنسبة لعقيدة البابية فإنها تقوم على الإدعاء بأن الله أوحى للشيرازي بكتاب أطلق عليه البيان العربي. وسماه كتاب الله، وبناءً عليه نادى بنسخ الشرائع السابقة، وآمن بالتناسخ وإنكار البعث.

وقد تبع هذه العقيدة أناس كثيرون في مدينة قزوين الإيرانية وكان من أقوى دعاتها امرأة تدعى قرة العين، ارتفع شأنها وصارت تنظِّر لهذه العقيدة. وترى قرة العين أن الشريعة المحمدية قد نُسخت الآن بظهور الباب وأنكرت الصلاة والصوم والزكاة وسائر ما أتت به الشريعة الإسلامية واعتبرته باطلاً وتدعو قرة العين إلى الإباحية.

وفي سنة 1884 أثبت العلماء في شيراز كفر علي محمد الشيرازي فأمر الشاه القاجاري ناصر الدين بإعدامه، فقُتل ولوحق أتباعه، وقد أصدر علماء المسلمين من شيعة وسنة فتوى تكفير الشيرازي وأتباعه، وقد نقل أتباع الشيرازي جثته إلى مدينة عكا في فلسطين، وتم إلقاء القبض على قرة العين وأتباعها وقد أعدمت خنقاً على يد جلاد السجن الذي حاولت استمالته، لكنها فشلت. وبعد أن انتهت البابية ظهر أحد تلاميذ قرة العين المدعو ميرزا حسين علي نوري المولود عام 1833.

ادعى ميرزا حسين أنه الباب ثم المهدي ثم ادعى النبوة الخاصة والنبوة العامة وأنه مرسل لجميع البشر ثم ادعى الألوهية آخر حياته على أساس نظرية الحلول وأن الله حلّ فيه، فكان يمشي ويضع برقعاً على وجهه حتى لا يشاهد بهاء الله أحد من خلقه. ولقب نفسه البهاء وعرفت دعوته بالبهائية ومنع ادعاء الألوهية على غيره لمدة ألف سنة، وقد ألف الكتاب الأقدس[1].

وألف كتباً عدة منها كتاب الإيقان وكتاب إشراقات وتجليات وكتاب طُرازات كلمات فردوسية.

وأهم ما تتميز به عقيدة البهائية:

1 ـ إنكار المعجزات التي يأتي بها الأنبياء وإنكار البعث والحشر والوعد والوعيد والجنة والنار.

2 ـ الصلاة تسع ركعات في الصباح والزوال، ونسخوا صلاة الجماعة وحوّلوا القبلة إلى عكا مقر وفاة الباب.

3 ـ الحج للرجال دون النساء وحرموا الحجاب وأباحوا الاختلاط ونادوا بمساواة الذكر بالأنثى في ميزان الميراث.

4 ـ إلغاء الحدود والاستعاضة عنها بعقوبات مادية.

5 ـ تحريم الجهاد واستعمال السلاح فالجهاد عندهم باللسان فحسب.

6 ـ أوّلوا معاني القرآن الكريم حتى أخرجوها عن دلالتها اللغوية والشرعية.

7 ـ الدعوة إلى دين موحد عالمي يجمع الجنس البشري.

وقد تطورت هذه العقيدة حتى أصبح دعاتها يدمجون بينها وبين بعض العقائد اليهودية، وعندما عقد مؤتمر البهائية العالمي سنة 1968 كشف المؤتمرون عن الارتباط الوثيق بين البهائية واليهودية. وقد قيل في حفل الاختتام: (إن الحركتين اليهودية والبهائية متمّمتان لبعضهما بعضاً وتجتمعان في أكثر النقاط).

---

(1) محمد الحسن: المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي ص 205 ـ 206.

وقد ارتبطت البهائية بالماسونية العالمية، فكلتاهما تنكران جميع الأديان باستثناء اليهودية، وتؤمنان بأنهما من فرع سبط منسّى الذي سيرفع العلم الإلهي على جميع الأمم، وكلتاهما نسخا فكرة الجهاد وتظاهرتا بالأخوة الإنسانية ومن المعروف أن المركز الأساسي للبهائية في مدينة عكا في فلسطين.

القاديانية والأحمدية

تأسست القاديانية في الهند سنة 1889 بمعنى أنها برزت في ظل الاحتلال الإنجليزي لشبه القارة الهندية.

وعندما نتفحص عقيدتها نرى أنها خلطت بين الخرافة والوهم والادعاء. وحاول منشئها ميرزا غلام أحمد أن يصور نفسه على أنه لم يخرج عن ملة المسلمين ولكنْ عندما نرى تفاصيل ما جاء على لسانه نرى أنها ليست فرقة منشقة عن الأصول الإسلامية، بل هي نحلة مخالفة كل المخالفة للعقيدة الإسلامية.

لذلك لا يمكن أن نضعها إلا في ميزان العقائد المستحدثة والتي لها كيان مستقل ورؤية عقيدية مستقلة.

ولعل أهم النقاط التي تميز عقيدة القاديانية هي التالية:

1 ـ ادعاء النبوة: وقد ورد في كتاب غلام أحمد المسمى (هامش حقيقة الوحي) ص 72: (أنا أفضل من جميع الأنبياء والرسل) وورد في كتابه المسمى إعلانات غلام ص 180: (أقسم بالله الذي أرسلني والذي لا يفتري عليه أحد إلا الملعونين أنه أرسلني وجعلني مسيحاً موعوداً) وفي كتابه حقيقة الوحي ص 162 يقول غلام أحمد: (الذي لا يؤمن بي لا يؤمن بالله ورسوله).

وادعاؤه النبوة يقتضي أن ينكر عقيدة الإسلام في ختم النبوة والرسالات والكتب السماوية.

ويدعي الميرزا غلام أحمد أن النبي محمداً ﷺ له ثلاثة آلاف معجزة وأن معجزاته هو فاقت المليون معجزة.

2 ـ أما تصور الميرزا عن الإله الذي يوحي له فهو يصوم ويصلي وينام ويخطئ ويصيب وقد جاء في كتابه البشرى الجزء الثاني ص 79: (قال لي الله إني مع الرسول محيط، إني من الرسول أجيب أخطئ وأصيب) ويقول في ص 97: (قال الله إني أصوم وأصلي وأصحو وأنام).

لا شك أننا نلاحظ ما جسده التوراتيون في التوراة والتلمود وقد عرفنا ذلك من خلال قولهم إن الله يندم ويغار ويتجسد في عمود نار وعمود سحاب وما إلى ذلك.

3 ـ يدعي الميرزا أن عيسى بُعث من قبره وهاجر إلى كشمير وتوفي هناك عن عمر يناهز المئة والعشرين عاماً، وأنه قد حل فيه هو ومحمد على السواء، فهو بذلك جمع النبوتين، وأنه أُوحي إليه باللغة الإنجليزية. ويقول في كتابه براهين أحمدية ص 480: (أنا ألهمت عدة مرات بالإنجليزية فظننت من اللهجة كأنه إنجليزي قائم على رأسي يتكلم).

4 ـ ويدعي أن الله أنزل عليه وحياً وجعله في كتاب أطلق عليه (الكتاب المبين) وادعى أنه أوحي به إليه ويتضمن الكتاب مجموع الإلهامات التي ادعى أنها وحي من الله وهو مقسم إلى عشرين جزءاً وسمّى الإلهام الواحد آية.

يقول الميرزا في جريدة الفضل في عددها الصادر بـ 15 أيار 1924 (لا قرآن سوى القرآن الذي قدمه المسيح الموعود) وبذلك يؤمن القاديانيون بنسخ القرآن وبإنكار ختام الرسالات والنبّوات.

5 ـ ويرى الميرزا أن الجهاد في سبيل الله قد نسخ، وأنه، أي الجهاد صار بالوسائل السلمية والإقناع وقد ورد في مجموعة إعلاناته الجزء 4 ص 49 ما نصه: (اتركوا الآن فكرة الجهاد لأن القتال للدين قد حرم والذي يجاهد في سبيل الله فهو عدو الله).

6 ـ وللميرزا رأي مخالف للقرآن فيما يتعلق بالنبي عيسى بن مريم عليه السلام فهو يقول في حقه:

(لقد اعتاد عيسى الفحش ـ سلاطة اللسان وكان يغضب لأتفه الأسباب ولم يكن يتحكم في أهوائه وشهواته النفسية كما يجب أن نذكر أنه تعوّد شيئاً من الكذب

أيضاً. فكل الأنباء التي ادّعى أنها تذكرة من التوراة ليست موجودة على الإطلاق) خزائن 11 ص 289.

ويقول: لقد كتب النصارى حول الكثير من معجزاته. ولكن في الحقيقة لم تكن له أي معجزة. خزائن 11 ص 290.

ويقول ميزرا متهكماً: وأما عائلته فكانت طاهرة وشريفة ثلاث من جداته من طرف الأم وثلاث من طرف الأب كنّ زانيات ومن دم هؤلاء الزانيات ظهر عيسى وتكوّن وجوده. وفي هذا ما يفسر ميل المسيح للمومسات. 11 ـ ص 291.

ويقول في حق المسيح: لم يكن عيسى ليقدر أن يدعي الصلاح لأنه كان يعلم أن الناس يعرفونه مدمناً على الخمر. ويقول اتركوا ذكر ابن مريم فغلام أحمد أفضل منه. ص 240.

وقد حوى كتاب الخزائن الذي ألفه الميرزا غلام أحمد ما يسميها هو الآيات والقارئ لهذه ـ الجمل والكلمات ـ لا يجد فيها سوى الاستهتار بالقرآن الكريم.

يقول في الخزائن 111 ص 346: رأيت في المنام ملكاً بهيئة شخص جاء أمامي وأعطاني نقوداً كثيرة ألقاها في حجري فسألته عن اسمه فقال لي ليس لي اسم فقلت لابد أن يكون لك اسم فقال اسمي تيتشي تيتشي.

ويقول: (يا مريم اسكن أنت وزوجك الجنة) 727.

ويقول: (قل هو الله عجيب ـ بدل قل هو الله أحد) 654.

ويقول: (كل العقل في لبس نظيف وأكل اللطيف) 776.

ويقول: (إن العذاب مربع ومدور) التذكرة ص 790.

ويقول: (ما أنا إلا كالقرآن وسيظهر على يدي ما ظهر من الفرقان) التذكرة ص 668.

ويقول: (جعلني الله مريم لسنتين ثم نفخ روح عيسى كما نفخ في مريم فأصبحت حاملاً في صورة استعارية وبعد عدة أشهر لم تتجاوز العشرة تحولت من

كوني مريم وصرت عيسى وهكذا أصبحت أنا عيسى بن مريم) الخزائن الروحانية 19 ص 50.

وهناك العشرات من هذه الأقوال التي دونها الميرزا وأتباعه في كتبه المتعددة والتي لا يسمح بإعادة طباعتها أو إطلاع الآخرين عليها.

اليزيدية

يرى بعض الباحثين أن اليزيدية وهم من العرق الكردي كانوا ينتمون إلى العقيدة الزرادشتية. وقد دخلوا الإسلام عند ربوع المنطقة.

ويتركزون في قضاء ـ الشيخان ـ شمال شرقي الموصل، ووجودهم الأعظم اليوم في منطقة سنجار. ويختلف يزيديو سنجار عن غيرهم من اليزيديين في بعض معتقداتهم وعاداتهم وذلك بسبب اندماج الكثير منهم بالمسلمين.

وسموا باليزيدية لأنهم يعتقدون بوجود إله يُدعى يزد أو يزدان، أما بالنسبة إلى يزيد بن معاوية أو يزيد السلمي فهذا احتمال بعيد.

يؤمن اليزيديون بوجود إله أكبر خالق لهذا الكون إلا أن هذا الإله لا يُعنى بشؤونه بعد أن فوض أمره وأمر تدبيره وإدارته إلى مساعده ومنفذ مشيئته (ملك طاووس) الذي يرتفع في أذهان اليزيدية إلى مرتبة الألوهية حتى إنهم يسبحونه ويضرعون إليه ويكادون ينسون من أجله الإله الأكبر المتعالي عن هذا العالم. وملك طاووس هو الملاك الأعظم الذي عصى الله في بدء الخليقة فعاقبه الله على خطيئته فظل يبكي سبعة آلاف سنة حتى ملأ سبع جرار من دموعه فألقاها في جهنم فأطفأ نارها، فأعاده الله إلى مركزه الرفيع في إدارة الكون.

وبعضهم يُرجع اليزيدية إلى العقيدة المانوية أو إلى العقيدة الزرادشتية.

أما المؤرخ محمد أمين زكي بك فيقول: إن اليزيدية عقيدة ثنوية يؤمن أتباعها بوجود إلهين تماماً مثل الزرادشتية المتأخرة، فهناك الإله أهورامزدا وهناك الإله أهرمان، والأول يمثل الخير والثاني يمثل الشر.

ويرون أنه لا حاجة لعبادة إله الخير لأنه لا يصدر عنه إلا الخير والعبادة فقط لإله الشر خوفاً من شره ودرءاً لمفاسده.

أما صفات الإله الأعظم عندهم: إنه تعالى الذي لا شريك له لم يلد ولم يولد ولا يستطيع الإنسان تصوره بأي شكل كان، فهو الموجود الذي يعبده اليزيديون ويقدسونه دون سؤال أو شك. وهذا ما قاله الباحث درويش حسو.

ويعتقد اليزيديون بالملائكة الذين يرعونهم في الحياة الدنيا على الأرض ويعتقدون بوجود سبعة ملائكة وهذا ما يذكرنا بالزرادشتية التي قالت بذلك، ويرون أن الله سبحانه عين طاووس رئيساً للملائكة بحيث يلعب دور همزة الوصل بين الخالق والملائكة وكذلك بينه وبين البشرية والمخلوقات الأخرى، وأهم كتابين لدى اليزيدية كتاب (مصحف رش) المصحف الأسود والكتاب الآخر يدعى (كتاب الجلوة) ويرون أن الله خلق الخلق يوم الأحد. ويقولون إن الملائكة تجسدوا وحلّوا في أجساد وهيئات شيوخ الطائفة اليزيدية.

واليزيدية لا تعترف بالأنبياء مثل الديانات السماوية بل تعتقد أن الله تعالى يرسل دائماً الملك طاووس ليهديهم إلى الطريق السليم.

ووفق العقيدة اليزيدية فإن طاووس يظهر في كل الفترات والمراحل التاريخية بأشكال مختلفة لكنه يتجسد في أغلب ظهوراته بصورة بشرية وعلى هيئة رجل بلباس أبيض ولحية بيضاء وشاربين.

ويوجد لليزيدية هيكل ديني مقدس وتعد زيارته فرضاً دينياً أساسياً، وتوجب العقيدة اليزيدية على كل فرد زيارة هذا الهيكل ولو مرة في العمر، ويوجد المعبد في قرية باعذرة التابعة لمنطقة شيخان الواقعة شمال الموصل بـ 48 ك م.

وفي كل منطقة يتواجد فيها اليزيدون يوجد طاووس. ففي بلاد الشام طاووس لهذه الطائفة وهو مخصص لمناطق القامشلي الحسكة حلب عفرين اللاذقية دمشق الخ ويذبحون لطاووس الذبائح ويطوفون بتمثاله المقدس ويتألف التمثال من طائر وشمعدان حيث يتفرع الشمعدان إلى سبعة فروع.

وقد كان السائد لدى اليزيدية أن كتابهم المقدس محفوظ في متحف الكوبر في برلين ولكن الباحث اليزيدي درويش حسو لم يعثر عليه فاستنتج أن هذا الكتاب خرافة وأن كتاب اليزيدية الحقيقي هو الأفستا (الأبستاق) الزردشتية.

ولليزيدية موقف من القرآن الكريم فالمتشرعون منهم يحفظون نسخ القرآن ويعلمونها لأولادهم إلا أنهم يحذفون منها ما لا يوافق عقائدهم ككلمات اللعنة والتعوذ والشيطان ويضعون على هذه الكلمات في القرآن الكريم شمع عسل مذاب.

ويتوجه اليزيدون في صلاتهم باتجاه النار والشمس رغم أنهم ينفون أنهم من عبدة النار ويرتلون صلواتهم الكلامية خمس مرات في اليوم. أما الصلاة الحركية فهي ثلاث عند شروق الشمس وعند الظهر وعند غروب الشمس، ويقرؤون فيها بعض الأدعية الموجهة للإله، ولديهم صوم يوم الثلاثاء والأربعاء والخميس من كل أسبوع في شهر كانون الأول الشرقي، وينقطعون عن الأكل والشرب والتدخين من الصباح إلى المساء، ويحجون إلى مرقد الشيخ عدي بن مسافر الهكاري بالقرب من قرية عين سفني مركز قضاء شيخان[1].

الصابئة المندائية

يعتقد المندائيون أن الله واحد أزلي أبدي لا أول لوجوده ولا نهاية له انبعث من ذاته وانبعث من لدنه الحياة وإليه تعود، وبه تتحد بعد أن تكمل قدرها، وأنه منزه عن عالم المادة والطبيعة، لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق وأنه لم يلد ولم يولد ليس له مثيل ولا شريك رب الخير الذي لا ينضب منتشر القوة متسلط على كل رغبة.

والمندائي ينزه نفسه عن عبادة الأوثان والأصنام والنار وعن السجود للشمس والقمر والكواكب. وهو يعتقد أنها إنما خلقت من أجله، كما يعتقد أن في

(1) الدكتور خلف الجراد: اليزيدية واليزيديون، دار الحوار 1995.

الإنسان شيئاً من الذات العظمى وما عليه إلا أن يتحرك وأن يعمل، ما عليه إلا أن يطلب فيجد وأن يسأل فيلقى وأن يقرع فتنفتح أمامه أبواب السعادة المؤقتة على الأرض والسعادة الدائمة في السماء.

ويعتقد الصابئة المندائيون بأن الملائكة مخلوقات الله وأنهم منزهون عن المادة، فقد فُطروا على الطهارة وجُبلوا على التقديس والطاعة، ويعتقدون أن فريقاً من جنسهم قد أوكل إليهم عملية الخلق وتدبير الكون وإدارة شؤون العالم منهم (هيبل زيوا - وأباثر وبثاهيل) وأن هؤلاء لا يعلمون كل شيء ويعرفون الغيب ولكل منهم مملكة في عالم الأنوار، كما يعتقد المندائيون بالأرواح الخبيثة ويسمونها عالم الشر - الجن، إبليس الشيطان وكلهم ينتمون إلى (الروهة) الأم العليا لعالم الشر، والروح عندهم قسمان النفس (نشمثا) وهي النصف النقي من الروح الذي لا يخطئ ولا يحاسب ودلالتها العقل والروح (الروها) وهي النصف الثاني الذي تتجسد فيه العواطف والرغبات وهي القابلة للوقوع في الخطأ لهذا تتعرض للحساب.

أما عقيدتهم في النبوة:

لا يؤمن الصابئة المندائيون بوسيط بين الخالق والمخلوق فليس لديهم أنبياء بل هم معلمون كبار بدءاً بآدم وانتهاءً بيحيى بن زكريا عليهما السلام. إن الله عندهم لا يكلم أحداً من البشر ولكنهم إذ ينفون نبوة البشر يقولون بمخلوق متوسط بين الروحانية والمادية يهدي الناس إلى الحق. هذا المخلوق يستمد المعرفة من الحضرة الإلهية القدسية ويفيض الفيض على البشر. فكلام الله لا يصل إلى الناس بواسطة مخلوق بين النور والتراب حَكَمَ حُكْمَ النبي، ومن هذا القبيل في نظرهم آدم وشيث وإدريس ويحيى عليهم السلام. فهم ليسوا أنبياء بالمفهوم المعروف للنبوة عند أهل الأديان المنزلة، وإنما هم أناس طهروا أنفسهم حتى توصلوا بنوع من الكشف إلى المعارف العليا، هؤلاء هم المعلمون فإذا ما وصفوهم بالأنبياء فهم إنما يقصدون ذلك، أي أنهم معلمون يستمدون معارفهم بطريق الكشف لا بطريق الوحي.

عقيدتهم في الموت والحياة الأخرى والجنة والنار:

يعتقد المندائيون أن الموت انتقال من العالم المادي الذي هو بمثابة سجن ونفي مؤقت للروح سرعان ما تتحرر منه بالموت، وتنتقل إلى العالم الروحي وتخلد هناك. لأن الجسد عندهم فانٍ والروح خالدة. ولكن بعد أن تحاسب حساباً عسيراً بأن توزن أعمال صاحبها، فإن رجحت حسناته فإن روحه تذهب إلى عالم الأنوار (الجنة) وإن رجحت سيئاته فإن روحه تقاد إلى المطير (المطراثة) في عالم الظلام (النار حيث تتعذب فيه بدرجات متفاوتة إلى أن تتطهر من ذنوبها ثم ترسل إلى عالم الأنوار[1].

تقاطعات بين العقائد السابقة

عرفنا بشكل موجز عقائد السيخ والبهائية والقاديانية واليزيدية والصابئة وإذا أردنا أن نقارن بينها وجدنا بعض الاشتراكات وبعض المتناقضات، فبالنسبة للذات الإلهية. تجمع هذه العقائد على أن الله واحد محجوب وهو الخالق وهو مدبر الكون. حتى اليزيدية الذين أدخلوا طاووس في عقيدتهم كإله وسيط لا ينفي إيمانهم بالله الواحد الأزلي.

أما بالنسبة للملائكة فأكثر هذه العقائد تؤمن بعالم الملائكة، والعدد سبعة يتكرر عند أكثر من عقيدة.

وتأتي قضية الحلول والاتحاد، فهي موجودة في السيخية والبهائية بشكل واضح وبالنسبة لليوم الآخر فجميع هذه العقائد تقول به على الرغم من اختلاف التسميات، وبالنسبة للنبوة فقد رأينا أن جميع هذه العقائد لا يعترف بالأنبياء ما عدا القاديانية التي انشق أتباعها، فمنهم من قال إن غلام أحمد نبي موحى إليه ومنهم من قال إنه مجرد مصلح وليس نبياً.

والذي تشترك فيه هذه العقائد أنها ما زالت معاصرة رغم قلة أتباعها والمحيط الديني الذي تعيش فيه.

---

(1) عبد الرزاق عبد الواحد: شيء عن الديانة المندائية. جريدة الأسبوع الأدبي، العدد 951 ـ 2/4/2005.

الفصل الرابع

جبريل عليه السلام
مفهوم ملاك الرب
في العقائد السماوية وغيرها

الفصل الرابع

جبريل عليه السلام

مفهوم ملاك الرب في العقائد السماوية وغيرها

يأخذ مفهوم ملاك الله أو ملاك الرب مساحة واسعة في العقائد السماوية وغيرها. فما من ديانة كتابية إلا وحظيت بهذا المفهوم، وخاصة اليهودية والنصرانية والإسلام والزرادشتية.

فهو في نظر التوراة الملاك الذي تجلى أحياناً للنبي إبراهيم والأنبياء من بعده، وهو الذي حمل رسالة السماء ليتلقاها منه الأنبياء المرسلون وإذا نظرنا إلى بعض العقائد وجدنا أن هناك ما يسمى رئيس الملائكة دون أن يُسمى جبريل، كما شاهدنا ذلك مثلاً في اليزيدية والصابئة.

والذي يحملنا على البحث المقارن حول شخصية ملاك الله هو تطور هذا المفهوم لدى المسيحية حتى أصبح غامضاً عندما جعلوه ما يسمى الروح القدس، وهو حسب رأيهم الأقنوم الثالث من أقانيم الله سبحانه عما يصفون.

وقد ارتبط اسم الملاك جبريل عليه السلام في اليهودية والنصرانية بأحداث محددة أوردها سفر التكوين، مما غيّر وبدل الموقف تجاهه حتى أن اليهود عادوه ولم يعتبروه منزلَ الوحي أو الملاك المكلف بالوحي والرسالات، بل اعتبروه الملاك المدمر، لذلك أنزل الله سبحانه في حقهم آية قرآنية تبين أن من عادى جبريل فقد عادى الله عز وجل.

وإذا اقتصرنا البحث في شخصية هذا الملاك عليه السلام في اليهودية والمسيحية والإسلام سنرى هناك مقاربات وسنرى هناك متنافرات ومتناقضات.

ملاك الرب حسب المفهوم التوراتي

لا تصرح التوراة باسم الملاك جبرائيل إلا نادراً وتستبدله بمصطلح ملاك الرب وقد ورد هذا المصطلح مرات عديدة وفي كافة الأسفار تقريباً.

وأول ذكر له يرد في الإصحاح السادس عشر من سفر التكوين.

تقول التوراة: فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية.

وقال لها ملاك الرب تكثيراً أكثر نسلك فلا يُعد من الكثرة. وقال لها ملاك الرب: هاأنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك. وما قبل ذلك كان حديث التوراة يتناول العلاقة بين إبراهيم وربه مباشرة دون ملاك الرب: (ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له: أنا الرب القدير) تكوين 17 : 1. وتتكرر الصيغة ذاتها دون المجيء على ذكر الملاك.

وتشير التوراة إلى ملاكين دون ذكر اسميهما في الإصحاح التاسع عشر حيث تقول: (فجاء الملاكان إلى سدوم مساء).

ومرة أخرى يتراءى ملاك الله لهاجر بعد أن وضعها النبي إبراهيم مع ابنها عند جبال فاران في مكة:

(ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: مالك يا هاجر) تكوين 21 ـ 71.

ثم يأتي: (ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء وقال بذاتي أقسمت بقول الرب). ويأتي في سفر الخروج ما هو مثيل ذلك:

(وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة) خروج 1 ـ 2.

وقد ورد اسم جبرائيل في سفر دانيال بقوله:

وكان لما رأيت أنا ودانيال الرؤيا وطلبت المعنى إذا بشبه إنسان واقف قبالتي وسمعت صوت إنسان بين أُولاي فنادى وقال: يا جبرائيل فهّم هذا الرجل الرؤيا وفي نفس السفر من الإصحاح التاسع الفقرة 21 يرد أيضاً:

(وأنا متكلم بعدُ بالصلاة إذا بالرجل جبرائيل الذي رأيته في الرؤيا في الابتداء) ويرد أيضاً اسم رفائيل وميخائيل ـ ميكائيل في سفر دانيال في الإصحاح 10 والإصحاح 21.

وتذكر أسفار اليهود اسم الملائكة صورئيال، وكمئيل، ويوفئيل، وصدقيل.

وعندها أن رئيس الملائكة ميكائيل ويقولون إنه يدعو الموتى للقيامة[1].

وأكثر ما يرد في أسفار التوراة والأناجيل قولهم: ملاك الرب، ولا يسمون الملاك باسمه إلا ما ندر.

أما في الأناجيل فتتضح مهمة ملاك الرب أكثر من التوراة.

فنرى مثلاً أنه يتراءى للنبي زكريا وهو في المعبد يصلي فيبشره بيحيى مثل ما بشر إبراهيم بإسحق ومثل ما تراءى لأم إسماعيل هاجر.

جاء في لوقا: (فظهر له ملاك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور) لوقا 1: 11.

ولكن في فقرة أخرى يقول: (فأجاب الملاك وقال له أنا جبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا) لوقا 1: 20.

وجاء في لوقا: (وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف) لوقا 1: 26.

ويأتي في إنجيل لوقا: (وكان رجل من أورشليم اسمه سمعان... وكان قد أوحي إليه بالروح القدس) لوقا 2: 25.

وجاء فيه أيضاً: (وإذا كان يصلي انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة) لوقا 2: 31.

ومرة أخرى يأتي في لوقا: (أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً بالروح القدس).

أما في متى فقد وردت كلمة ملاك الرب من أول هذا الإنجيل: (لأن الذي جعل فيها هو من الروح القدس) متى 1: 21.

(وبعدما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم) متى 2: 13.

---

(1) قاموس الكتاب المقدس ص 921 حرف الميم، كلمة ملاك.

وترى الزرادشتية أن الكتاب الذي أنزل على زرادشت جاء من السماء عن طريق كبير الملائكة:

(فبينما هو واقف على شاطئ نهر ديتي في مقاطعة أذربيجان إذا به يرى كائناً مضيئاً يهبط من السماء وكأنه عمود من نور حجمه تسعة أمثال حجم الإنسان ويحمل في يده عصا من اللهب ولما دنا منه أنبأه أنه (فاهومانا) كبير الملائكة أرسله الله إليه ليعرج به إلى الملأ الأعلى ليحظى بشرف المثول أمام رب العالمين)[1].

وفي العقيدة اليزيدية أن طاووس هو زعيم الملائكة ولذلك يقدسونه وأحياناً يشركونه مع الله في بعض الأعمال.

وإذا عدنا إلى القرآن الكريم وجدنا أوضح الصور للملاك جبريل عليه السلام من حيث صفاته ومهماته ومكانته.

أولاً: ورد اسم جبريل في القرآن الكريم في ثلاثة مواقع:

في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة 97).

وفي قوله: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة 98).

وفي قوله: ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (التحريم 4).

وترد في القرآن الكريم كلمة روح القدس واتفق العلماء أن المقصود بها جبريل عليه السلام.

فقال تعالى: ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ ﴾ ويرد بكلمة الروح الأمين بقوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ ووردت كلمة روح بمفردها قال تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾، ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾، ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾، ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾.

---

(1) د. علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة قبل الإسلام ص 152.

ويقول تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ (النحل 102).

وجاءت مفردة رسول لتعني أيضاً جبريل عليه السلام.

يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾ (هود 69).

ويقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ ﴾ (هود 77).

ويقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ (الحجر 61).

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ (مريم 19).

فيتضح مما تقدم أن هناك مهمات إلهية يكلف بها الملائكة ولا سيما الملاك جبريل عليه السلام. ولكن لو قارنا بين ما ورد في التوراة وما ورد في الإنجيل لوجدنا أن غموضاً يلف مهمة هذا الملاك الكريم عليه السلام.

فلا نرى مثلاً أنه ينزل الرسالة على موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام وتقتصر مهمته في التوراة على التراثي لبعض الأنبياء الثانويين مثل النبي دانيال فليس هناك مهمة تنزيل الرسالة على موسى عليه السلام مثلاً.

وتكرر ما يسمى أسفار موسى الخمسة وخاصة سفر التثنية أن الله كان يكلم موسى مباشرة وليس هناك وحي ينزل الكتاب.

وعندما تتحدث التوراة عن اللوحين اللذين أنزلهما الله لموسى بعد مكوثه في ميقات ربه أربعين يوماً لا نرى أي أثر لجبريل أو أي ملاك ينزل هذين اللوحين تقول التوراة: (وقال الرب لموسى اصعد إليّ إلى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحيّ الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم) خروج 24/ 12 ـ 13.

ولكن سفر الخروج يورد نصاً: يقول فيه: (هأنا مرسل ملاكاً أمام وجهك ليحفظك في الطريق وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته. احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه لأنه لا يصفح عن ذنوبهم لأن اسمي فيه) خروج 23: 20 ـ 22.

فمن هو هذا الملاك؟ لا ندري.

وتقول التوراة: (فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هناك كانا مكتوبين. واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين) خروج 32: 15 ـ 16.

أما المسيحية فلا نرى أيضاً مهمة تنزيل كتاب على المسيح عليه السلام.

ولكنْ يرد في إنجيل برنابا الذي لا تعترف عليه الكنائس المسيحية أن الكتاب الذي يخصه الله بالمسيح أنزله عليه ملاك الرب.

يقول برنابا: صعد إلى جبل الزيتون مع أمه ليجني زيتوناً وبينما كان يصلي في الظهيرة وبلغ هذه الكلمات (يا رب برحمة) وإذا بنور باهر قد أحاط به وجوق لا يحصى من الملائكة كانوا يقولون ليتمجد الله فقدم له الملاك جبريل كتاباً كأنه مرآة برّاقة فنزل إلى قلب يسوع الذي عرف به ما فعل الله وما قال الله وما يريد الله) فصل 10: 1 ـ 5.

فهذا النص يذكرنا بالمهمة الأساسية للملاك جبريل عليه السلام وهي تنزيل الرسالات على الأنبياء.

وقد ورد اسم جبريل من خلال مهمات أخرى في إنجيل برنابا، فهو الذي بشر مريم بالمسيح عليه السلام، وهو الذي أمر المسيح أن ينهض بعد بكائه الطويل. يقول برنابا: (فأجاب الملاك جبريل انهض يا يسوع واذكر إبراهيم الذي كان يريد أن يقدم ابنه الوحيد إسماعيل ذبيحة لله ليتم كلام الله) 13: 15 ـ 16.

وهناك العديد من الفقرات التي تصرح باسم الملاك جبريل، والتي تبين تواصله مع المسيح عليه السلام حتى نهاية تواجده على الأرض.

يقول برنابا: فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم) الفصل 215: 4.

إذاً فجبريل أنزل الإنجيل الحقيقي على قلب يسوع المسيح عليه السلام ورافقه بالحفظ من أعدائه. وأخيراً وبأمر من الله رفعه إلى السماء مع ملائكة آخرين. أما

التوراة فلا تصرح مطلقاً أن الكتاب الذي أتاه الله لموسى قد نزله الملاك وحياً، إنما أنزله مباشرة دون وسيط من الملائكة.

جبريل عليه السلام في القرآن والسنة

بعد أن تعرفنا على أهم الخطوط المتعلقة بالملاك جبريل عليه السلام في اليهودية والنصرانية، ندخل عالم القرآن الكريم والسنة الشريفة لنتعرف على شخصية الملاك جبريل عليه السلام.

يقول تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة 97).

فهنا نرى أن جبريل كُلف بتنزيل القرآن الكريم على قلب رسول الله. وخلال ثلاثة وعشرين عاماً ظل جبريل ينزل على قلب رسول الله ﷺ، وينزّل القرآن منجماً آية آية وآيات آيات إلى أن اكتمل القرآن الكريم، وكان البدء بالتنزيل بقوله: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾.

ويصف الله سبحانه في مواقع أخرى جبريل بالروح الأمين الذي نزل القرآن: يقول تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ (الشعراء 193-194).

ويقول تعالى واصفاً جبريل بالروح القدس: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ (النحل 102).

إضافة لصفة الرسول التي وصف بها الله سبحانه جبريل عليه السلام.

فنرى من خلال ذلك عدة صفات للملاك جبريل ومهمة واضحة وهي تنزيل القرآن على قلب رسول الله ﷺ.

لكن القرآن الكريم حفل بإشارات كثيرة لمهمات أخرى غير تنزيل القرآن الكريم، فالله سبحانه يمد المؤمنين بملائكة يقاتلون دفاعاً عن دين الله مع المسلمين وقد أشار إلى ذلك في عدة مواقع من الآيات الكريمة.

يقول تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال 9).

ويقول تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ (التوبة 40).

بقي أن نقول إن اليهود يعرفون عن الملاك جبريل كل شي ولكنهم يعادونه وقد صرح القرآن الكريم بذلك بقوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ (البقرة 97 ـ 98).

فما قصة عداء اليهود للملاك جبريل على الرغم من أنهم يعرفونه؟

الحقيقة إن سبب نزول الآيتين الكريمتين هو التالي:

(دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مدراس اليهود وهو محل اجتماعهم يوماً فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمداً على أسرارنا وإنه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام. فقال: وما منزلتهما من الله؟ قالوا: جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة. فقال: لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوّين ولأنتم شر من الحمير ومن كان عدو أحدهما فهو عدو الله، ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال له النبي ﷺ: لقد وافقك ربك يا عمر)[1].

إذاً، فأسباب العداوة من قبل اليهود للملاك جبريل عليه السلام أنه هو الوحي الذي أخبر ويخبر سيدنا محمداً ﷺ بكل ما فعله اليهود في الماضي وبكل ما يضمرونه من عداء للرسول ﷺ. ونلاحظ أن الحديث عن بني إسرائيل واليهود أخذ صفحات طوال من القرآن الكريم حتى قيل إن ثلث القرآن كان في بني إسرائيل.

إضافة لهذه الحجة التي قال بها اليهود فإنهم قالوا: إن جبريل صاحب خسف وعذاب إشارة لما قالته التوراة من أن جبريل عليه السلام هو الذي خسف الأرض بقوم لوط وأنزل العذاب بأقوام أخرى.

---

(1) محمد خير الدين الدرة، إعراب القرآن وبيانه، الجزء الأول ص 123.

والغريب أن اليهود يعرفون أن قوم لوط فعلوا أقبح أنواع الشر وكانوا يستحقون هذا الخسف فلماذا يتضايقون من عقاب هؤلاء الشاذين؟

على أية حال، فقد عرفنا أهم ما أوكل إلى جبريل من قبل الله عز وجل، وعرفنا الفروق بين ما جاءت به التوراة والإنجيل وما جاء من كلام الله عز وجل في القرآن الكريم عن الرسول جبريل عليه السلام.

ويمكن لأي باحث يريد التوسع في دراسة عالم الملائكة أن يعود إلى آيات القرآن الكريم ليرى تفصيلات أخرى عن هذا العالم الغيبي الذي لولا القرآن الكريم ما عرفنا شيئاً عنه.

خاتمة

مر على البدء بتأليف هذا الكتاب حوالي سنتين وثلاثة أشهر. توقفتُ في تأليفه لأكثر من سنة ونصف ثم عدت لأتممه بشكل متواصل إلى أن أراد الله سبحانه إتمامه.

وقصة التوقف ومن ثم العودة لم تكن بإرادتي إنما كانت هناك أصوات بعض الأخوة والأصدقاء تطالب بالكتابة عن موقف الإسلام مما يُروّج في العالم العربي من ثقافة الهزيمة والاستسلام، لأن هذا العالم يشهد أموراً تشكل خطراً على العقل العربي والمسلم وخاصة بعد غزو العراق واحتدام الصراع في فلسطين وبعض مناطق العالم الإسلامي.

وقد قيض الله لي خيراً في الوقت فنحّيت هذا الكتاب جانباً ورحت أغمس قلمي في الرد على مروّجي ثقافة الهزيمة معبراً عن موقفي العروبي الإسلامي، ومعبراً عن جماهير الأمة المقهورة التي ترفض أن تُروّض أو تدجّن وتقبل الهزيمة في روحها وعقلها وعقيدتها وتاريخها وحضارتها وهويتها ومستقبلها. وعندما أتممت تأليف كتاب (الإسلام وثقافة الهزيمة نقيضان في المواجهة) قلت لقد آن الأوان للعودة إلى ما كنت تركته من تأليف كتاب علم مقارنة الأديان الذي بين يدينا.

الحقيقة أن ما دفعني لإتمام هذا الكتاب هو أنني وأنا أمارس تدريس مادة مقارنة الأديان للسنة الرابعة في كلية الدعوة الإسلامية بدمشق أدركت أن كل الكتب المقررة سابقاً وحالياً لا تفي بالغرض من علم مقارنة الأديان، لذلك كنت ألجأ دوماً للخروج عن بعض المقرر فأدرج المقارنات التطبيقية بين الأديان في العقيدة والتشريع والتأثر والتأثير. ولمست أن الطلاب أصبحوا يدركون أكثر القضايا الدينية التي تشترك فيها العقائد وكذلك تلك التي تختلف فيما بينها حوله.

وعندما كثرت المراجع التي تدخل باب مقارنة الأديان بين يديّ لم أعثر على كتاب واحد ينظّر لعلم مقارنة الأديان من حيث أصوله وجذوره ومساهمات الباحثين الغربيين والعرب فيه وتطبيقاته النصّية.

والأغرب من ذلك كله أن جميع هذه المراجع تقترب من علم تاريخ الأديان دون أن تكون قريبة من علم مقارنة الأديان.

وما دفعني أكثر للخوض في التنظير لهذا العلم هو تجربتي الكتابية في كتابي (التوراة والقرآن أين يتفقان وأين يفترقان؟) وفي كتابي (العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل) وفي كتابي الثالث (إنجيل برنابا يُبعث من جديد) وكتابي الرابع (الكتاب والتوراة) وكتابي الخامس (العقائد الوثنية في الديانة اليهودية) وكان المنهج في جميع هذه الكتب هو مقارنة النص بالنص. فتناولت مفهوم الألوهية في جميع العقائد السماوية وغيرها دون أن أفصِل بين عقيدة وأخرى. إنما كان النص من هنا ومن هنا ومن هناك في إطار واحد مقارن. وكذلك مفهوم يوم البعث والجنة والنار وكذلك مفهوم النبوة والملائكة ثم التشريع والعبادات وما إلى ذلك.

ومن خلال التجربة الميدانية لمدة تسع سنوات متتالية، أعني تدريس هذه المادة في كلية جامعية وجدت الكثير من القفزات العقلية لدى الطلاب والطالبات حتى أن بعضهم قدم بحوثاً مقارنة بعد أن رجعوا إلى نصوص التوراة والأناجيل وغيرها من الكتب على الرغم من أن أيّاً منهم لم يطلع في حياته السابقة لا على توراة ولا على إنجيل. وهذا ما حفزني لتأليف هذا الكتاب والتركيز فيه على التطبيقات المقارنة في الجزء الثاني منه والذي يحوي عدة فصول طويلة تضيء التطبيقات المقارنة في عدة مواضيع عقيدية وتشريعية.

وأملي كبير بأن يلقى هذا الكتاب صدى لدى الكليات والجامعات والمعاهد العالية الإسلامية وغيرها كي يكون أسهل الوسائل البحثية للطالب حتى يعرف ما هو هذا العلم وما هي مجالات بحثه وكم شارك فيه العرب والمسلمون أمثال ابن حزم وابن القيم ورحمة الله الهندي والسموأل بن يحيى المغربي وغيرهم من الباحثين

الأجانب وكم نحن بحاجة لمعرفة العقائد الكبرى والعقائد المعاصرة من صغيرة وكبيرة وغيرهما.

أما بعد أن وضّحت قصة تأليف هذا الكتاب وما أعانني الله عليه من تطبيقات فإن من واجبي البحثي أن أقدم خاتمةً له. تتناول الاستنتاجات والغايات والأهداف في ضوء ما نعيشه من صراعات عقدية أو حوارات دينية وفي ضوء الهجمة المستمرة من قبل بعض الجهلة الغربيين وغيرهم على دين الإسلام ونبي الإسلام ﷺ. وفي ضوء التطور البحثي في حقيقة الأديان والعقائد القديمة والمعاصرة وما آلت إليه بعضها من تغيير وتحريف وابتداع غيّرها من جذورها وحرفها عن غايتها الإلهية وجعلها عقائد تختلف كلياً عن أصولها.

مضى على وجود النبي إبراهيم وأولاده عليهم السلام حوالي أربعة آلاف سنة ومضى على وجود النبي موسى عليه السلام حوالي 3200 سنة ومضى على وجود المسيح عليه السلام حوالي ألفي عام. وما بين إبراهيم عليه السلام والمسيح عليه السلام وُجد أنبياء ذكرهم القرآن الكريم ووُجد آخرون لم يسمّهم القرآن الكريم واختصت بهم التوراة على الغالب. بينما تعرفنا إلى شخصيات اعتبرها بعض الأقوام أنبياء أمثال زرادشت، ومنهم من ألّه الحكماء كالبوذيين وغيرهم.

وانشقت عن اليهودية فرق عديدة منها ما اعترف بالتوراة العبرانية ومنها ما لم تعترف كالسامريين، وانقسمت فرق اليهودية إلى تلموديين وغير تلموديين وهكذا حتى بدت فرق اليهود أكثر انشقاقاً وتنوعاً.

وانقسم المسيحيون إلى موحدين وغير موحدين. وطغت عليهم أفكار الوثنية الغربية فعمّموا التثليث وألوهية المسيح وقالوا بالصلب وما شابه ذلك وانقسمت كتب هاتين العقيدتين إلى أقسام تناقض بعضها بعضاً. فكانت التوراة العبرانية والسامرية واليونانية والأسينية، وكانت الأناجيل أكثر من ذلك ومنها برنابا ومتى ومرقص ولوقا ويوحنا وتوما ويهوذا.

اختلطت الحقائق بالأباطيل والخرافات. واختلط كلام التنزيل بكلام التأليف فضاعت العقيدتان وبات الأصل فيهما مجهولاً أو مخفياً. وظل أتباعهما

يخفون هذه الحقائق ويخدعون الجماهير المسيحية زمناً طويلاً، ومما زاد في الأزمة العقيدية لديهم أن رجال الدين الغربيين وعلى رأسهم الفاتيكان والبابوات صنعوا لهم زيادات عقدية واختراعات ليس لها أصل ولا فصل. فتاه الناس في غيابات الظلمة مما دفع المجتمعات الغربية على وجه التحديد للتحلل من الدين انتقاماً من رجال الكنيسة واللاهوت الذين أباحوا ما حرم الله وتناسوا أوامره ونواهيه وأخيراً يأتي البابا بينيدكت السادس عشر ليدعو اليهود والمسلمين للدخول في المسيحية الوثنية بل ويدعو البروتستانت في أميركا وغيرها للدخول في الكاثوليكية.

أما أنه يدعو اليهود والبروتستانت إلى الدخول في الكاثوليكية فهذا شأنه. أما أن يدعو المسلمين للتنصير فهذا يدل على جهله من ناحية وعلى حقده وعنصريته من جهة ثانية وعلى خوفه ورعبه مما آلت إليه حال أوروبا وخاصة دخول الشباب والفتيات في الإسلام عن حب وطواعية بعد أن تبينوا الرشد من الغي.

لقد ظل المسيحيون جاهلين متجاهلين بحقيقة الإسلام، ولكن الله سبحانه بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين، ونزل القرآن عليه ليفضح كل خرافاتهم ووثنيتهم وتثليثهم وكهنوتهم.

نزل القرآن الكريم ليبين الانحراف العقيدي الذي ساروا عليه عبر مئات السنين. لقد فضح عبادتهم للعجل وللأوثان وفضح نقدهم لمواثيق الله والأنبياء وفضح كذبتهم الكبرى في ادعائهم صلب المسيح وتأليهه. وما المسيح إلا بشر خلقه الله مثل آدم وما المسيح إلا نبيّ دعا للتوحيد وبشر بالنبي القادم محمد ﷺ.

من هنا يأتي علم مقارنة الأديان ولا سيما المتجه منه إلى اليهودية والنصرانية والإسلام. إضافة لعقائد الزرادشتية والهندوسية والعقائد المعاصرة التي أبت إلا أن تكون في جوقة الانحراف والخرافات والادّعاءات الوهمية. يأتي علم مقارنة الأديان ليوضح آلاف القضايا التي غيروا حقيقتها.

مــن دراســة مــسألة الخلــق الأولى لآدم وزوجــه وأبنائــه ولنــوح وأولاده ولإبراهيم وأولاده، يأتي ليوضح الحقيقة القرآنية التي صـححت مـسارهم ومـسار عقولهم. ويأتي علم مقارنـة الأديـان ليـدعم علـم التـاريخ الـذي فـضح روايـاتهم وتواريخهم الكاذبة. ويأتي لينصف الأنبياء داود وسـليمان وقـبلهما موسـى وإليـاس وهارون. وما من نبي إلا وشوهوه وألصقوا به أبشع أنواع السلوك ويكفي ما قصّوه عن النبي لوط وما قصوه عن داود وما قصوه عن ذات الله والملائكة ليكون شـاهداً على أن التوراة التي بين أيديهم هي تـأليف كهنـتهم ولـيس لهـا علاقـة بـما نزّلـه الله سبحانه على الأنبياء.

يأتي هذا الكتـاب ليقـارن العقائـد نـصاً بـنص وحادثـة بحادثـة وشخـصية بشخصية وتشريعاً بتشريع. يناقش مفهوم الذات الإلهية وكيـف أن القـرآن الكـريم بين لهؤلاء أنهم انحرفوا عن التوحيد فخلطوا بين ما يفعله الله سـبحانه، ومـا يفعلـه الملائكة والشياطين والبشر. ويناقش مفهوم النبوة والأنبياء ويوضح كيف أن القرآن الكريم بين عقيدة الأنبياء وعصمتهم ودعوتهم وسلوكهم وخصائـصهم ومهماتهـم ويناقش مفهوم الملائكة والجن ويوضح كيف أن القرآن الكـريم ميّـز الملائكـة عـن الشياطين وبين مهماتهم بدءاً بتنزيل الكتب وانتهاءً بحفظ النـاس والـسماء والأرض بإذن الله. ووضح أيضاً مفهوم اليوم الآخر وكيف أن اليهود ظنوا أن الجنة كتبت لهم وحدهم وكذلك النصارى.

هذا العلم الذي جهلنا الكثير عنه يوضحه الكتـاب الـذي بـين أيـدينا ليؤصـل المفاهيم والمعارف المتعلقة به، وبالمساهمات التي شارك فيها علماؤنا وعلماء الغرب.

والأمل بالله يحدوني أن يكون هذا العمـل نافعـاً لطـلاب العقيـدة والتـاريخ وتاريخ الأديان. ونافذة كبيرة يطل منها كل باحث وكل متنور وكل قاصد للمعرفـة أملي بالله أن يكون هذا العمل لبنة قوية من لبنات علم مقارنة الأديان لننتفع به جميعاً جيلاً بعد جيل. والحمدلله رب العالمين فلولا فضله لما تم هذا الكتاب ولولا رعايتـه لما استطاعت اليد أن تخط هذه الحروف.

اللهم امنحنا الصحة والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والـدنيا وفي الآخـرة
اللهم امنحني العمر المديد لأظل عاكفاً على الكتابة النافعة المدافعة عن دين الإسلام
وعن الحبيب المصطفى ﷺ.

د. حسن الباش

بتاريخ 23/ 4/ 2008

المصادر والمراجع

1 ـ القرآن الكريم.

2 ـ التوراة العبرانية/ منشورات دار الكتاب المقدس، دمشق 1981.

3 ـ التوراة السامرية.

4 ـ التوراة اليونانية.

5 ـ إنجيل برنابا.

6 ـ إنجيل متى/ منشورات دار المشرق بيروت بولس باسيم 1986.

7 ـ إنجيل مرقص/ منشورات دار المشرق بيروت بولس باسيم 1986.

8 ـ إنجيل لوقا/ منشورات دار المشرق بيروت بولس باسيم 1986.

9 ـ إنجيل يوحنا/ منشورات دار المشرق بيروت بولس باسيم 1986.

10 ـ التلمود.

11 ـ صحيح البخاري.

12 ـ محمد صفوح الأخرس/ الأنثروبولوجيا/ وزارة الثقافة/ سوريا ـ دمشق 2001.

13 ـ عباس العقاد/ الله في نشأة العقيدة الإلهية ـ دار المعارف، مصر 1964.

14 ـ د. محمد عبدالله الشرقاوي/ مقارنة الأديان/ بحوث ودراسات ـ دار الهداية ـ القاهرة 1986.

15 ـ د. بسام العجك/ الحوار الإسلامي المسيحي/ دمشق ـ دار قتيبة.

16 ـ أحمد أمين/ ضحى الإسلام ـ الجزء 3.

17 ـ ابن حزم الأندلسي/ الفصل في الملل والأهواء والنحل.

18 ـ ابن القيم الجوزية/ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى/ ـ دار قتيبة.

19 ـ السموأل بن يحيى المغربي/ غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود. مخطوط.
20 ـ رحمة الله الهندي/ إظهار الحق.
21 ـ موريس بوكاي/ التوراة والإنجيل والقرآن والعلم/ .
22 ـ فرانسوا شاتلييه/ تاريخ الأيديولوجيات/ جـ 1 ـ وزارة الثقافة سوريا في 1997 ترجمة: أنطون حمصي.
23 ـ شبكة المعلومات العربية/ محيط.
24 ـ د. حسن الباش/ الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي/ دار الجليل ـ دمشق 1988.
25 ـ مفيد عرنوق، اللآلىء نصوص من الكنعانية ـ دار النهار ـ بيروت 1978.
26 ـ يوسف سامي اليوسف/ معجزة الأسطورة اليونانية ـ وزارة الثقافة.
27 ـ شوقي عبد الحكيم/ الفولكلور والأساطير العربية.
28 ـ صموئيل هنري هوك/ منعطف المخيلة البشرية/ ت: صبحي حديدي ـ دار الحوار ـ سوريا 1984.
29 ـ جيمس بريسند/ فجر الضمير ـ ترجمة: سليم حسن ـ مكتبة مصر، رقم الكتاب 108.
30 ـ فراس السواح: مغامرة العقل الأولى.
31 ـ عمر لطفي النجار: العقل والإلحاد مكتبة المبتدأ والخبر، دمشق 1997.
32 ـ جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، عالم المعرفة، الكويت ط 1 1993.
33 ـ د. إبراهيم مذكور د. يوسف كرم: دروس في تاريخ الفلسفة.
34 ـ دائرة معارف القرن العشرين.
35 ـ د. أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى، مقارنة أديان.
36 ـ د. أحمد شلبي: المسيحية ـ مقارنة أديان.
37 ـ د. أحمد شلبي: اليهودية ـ مقارنة أديان.

38 ـ عبد الرحمن نور الدين: رحلة الإنسان مع الأديان.
39 ـ عبد السلام التونجي: العقيدة في القرآن، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية.
40 ـ محمد عبده: رسالة التوحيد.
41 ـ دوان: سكان أوروبا الأوَل.
42 ـ محمد طاهر التنسير: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية.
43 ـ ليون جوتيه: مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية.
44 ـ د. علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة قبل الإسلام.
45 ـ قاموس الكتاب المقدس. باب القاف.
46 ـ حبيب سعد: سيرة بولس الرسول.
47 ـ د. حسن الباش: إنجيل برنابا يُبعث من جديد.
48 ـ دوان: خرافات التوراة.
49 ـ محمد علي برو العاملي: الكتاب المقدس في الميزان.
50 ـ أحمد ديدات: هل الكتاب المقدس كلام الله؟
51 ـ موسوعة عالم الأديان، المجلد الرابع.
52 ـ محمد الحسن: المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي.
53 ـ د. خلف الجراد: اليزيدية واليزيديون، دار الحوار، دمشق 1995.
54 ـ محمد خير الدين الدرة: إعراب القرآن وبيانه، دار الحكمة، دمشق 1984.
55 ـ عبد الرزاق عبد الواحد: شيء من الديانة المندائية/ الصابئة، جريدة الأسبوع الأدبي، العدد 951 دمشق 2005.

الفهرس